عقيدة التوحيد

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

رؤيـــة معـاصـــرة

دكتور أحمد راسم النفيس

المنصورة مصر

يناير ٢٠١٤

ربيع الأول ١٤٣٥

سرشناسه	: نفيس، احمد راسم، ١٩٥٢ - م.
عنوان و نام پديدآور	: عقيده‌التوحيد فى مدرسه اهل‌البيت عليهم‌السلام: رويه معاصره/ احمدراسم النفيس.
مشخصات نشر	: قم: انتشارات العطار، ١۴۴۴ ق.= ٢٠٢٣ م.= ١۴٠١.
مشخصات ظاهرى	: ١۵١ ص.
شابک	: ٩٧٨-٦٢٢-٥٦٥٩-٣٣-٩
وضعيت فهرست نويسى	: فيپا
يادداشت	: زبان: عربى.
يادداشت	: كتابنامه به صورت زيرنويس.
موضوع	: توحيد توحيد -- احاديث (Tawhid (Unity of God* Tawhid (Unity of God) -- Hadiths* توحيد -- جنبه‌هاى قرآنى Tawhid (Unity of God) -- Qur'anic teaching* شيعه -- عقايد Shia'h -- Doctrines
رده بندى كنگره	: BP٢١٧/۴
رده بندى ديويى	: ٢٩٧/۴٢
شماره كتابشناسى ملى	: ٩١۴٨٠۶٠
اطلاعات ركورد كتابشناسى	: فيپا



الكتاب: عقيدة التوحيد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

المؤلف: الدكتور أحمد راسم النفيس

الناشر: العطار

المطبعة: احسان

الاخراج الفني: كمبيوتر المجتبى عليه السلام

الطبعة: الاولى: ١٤٠١ هـ ش / ١٤٤٤ هـ ق / ٢٠٢٣ م

الكمية: ٥٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ١٥١ صفحة وزيري

الترقيم الدولي (ISBN): ٩ ـ ٣٣ ـ ٥٦٥٩ ـ ٦٢٢ ـ ٩٧٨

مركز التوزيع: المركز العالمي للمستبصرين التابع لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأفضل الخلق أجمعين محمّد خاتم المرسلين وآله أشرف الأوصياء الطاهرين المطهرين.

إن أفكار وعقائد البشر عندما تختلف فالطبع البشري السليم يدفع ويقود الإنسان نحو التحاور مع الآخر الذي يختلف معه فكريا أو عقائديا ليتفهمه الآخر ويفهمه، وحين يختل الطبع البشري بالعناد والجهل والضغائن ينساق الإنسان نحو التنكيل والطعن وتلبيس الحق بالباطل جهلاً وتعصباً.

ومن هذا المنطلق وبعد أن ترك جمهور المسلمين اتّباع أهل بيت النبيّ عليه السلام من حين وفاته، أضحى أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم يتعرضون لمختلف الطعون وأصبحت عقائدهم الحقّة مرماً لسهام المخالفين، فلم يتركوا لهم مبنى أو عقيدة إلا وقابلوه بفكر معارض من دون استثناء حتى في بحث توحيد الله سبحانه وصفاته!

وقد تصدى الطبيب المصري والكاتب والباحث الإسلامي

الدكتور أحمد راسم النفيس لكتابة هذا البحث عن التوحيد وأهميته في عقيدة المسلم بجدارة وموضوعية وتتبع واف وببيان سهل ومستدل، ما زاد التأليف هذا فائدة وقيمة، والفضل كلّه يعود إلى عناية أهل البيت عليهم السلام وتنويرهم الطريق لأتباعهم.

وعمد مركز المستبصرين التابع لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام إلى طبع هذا الأثر بعد المراجعة والتصحيح وكما هو دأبه في الإرشاد العلمي سيما بما يختص بمطارحات الأخوة الفضلاء وبالهدف المشترك وهو إضاءة الضياء بعصر الظلام للأمة التائهة بين تضليل الإعلام وظلم الحكّام.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يرشدنا إلى صوابه ويثبت قلوبنا على هدايته ويوفقنا لمرضاته إنه سميع بصير، والحمد لله رب العالمين.

المركز العالمي للمستبصرين

المقدمة

كيف نعرف الله؟!

البحث عن حقيقة الإله و(صورته) كـان ولا زال هاجـسا يـشغل بال الإنسان القديم والمعاصر.

لهذا السبب قام الإنسان بنحت الأصنام في محاولة منـه لتـصوير أو لتقريب صورة الإله المعبود وليس لاعتقاده أن هذه الأحجـار هـي ذات الإله كما قد يظن البعض.

وكما هو شأن كل المجتمعات التي تضم فئـات مختلفـة منهـا العـالم والجاهل فلربما تصور الأكثر جهلا أن هذه الأصـنام الحجريـة هـي ذات الإله ونسوا أصل الحكاية.

أيـا كـان الغـرض مـن وراء صـناعة الأصـنام (كمثـال أو تمثـال للمضاهاة) ثم عبادتها فالثابت أن المجتمعات الجاهلية لا تؤمن بالغيـب ولا تصدق بغير المحسوس سواء كان هذا المحـسوس لـذات وشـهوات وطعامـا وشرابـا أو بطـشا وهيمنـة واسـتئثارا حيـث البقـاء للأقـوى، والسلطة والمال للأقدر على فرض إرادتـه بالحديـد والنـار عـلى الجمـوع المستضعفة المغلوبة على أمرها، ولذا صار الجبابرة والطغاة هم آلهة الأمـر الواقع الذين لا يرد أمرهم ولا سيفهم عن المستضعفين وهكذا نفهم مـا

أورده القرآن الكريم تارة على لسان فرعون (ما علمت لكم من إله غيري) وتارة أخرى على لسان النمرود (أنا أحيي وأميت).

لم تقتصر صناعة الأصنام على تلك الحجرية بل لقد ذهب أهل الزيغ والضلال أبعد من هذا عندما قاموا بنحت أصنام بشرية من صنع أهوائهم عندما رفعوا بشرا عاديين إلى مرتبة الآلهة وجعلوا منهم أندادا لله ينزل الوحي استجابة لآرائهم التافهة وتُقدّم أقوالهم على كلام الله عز وجل ووصايا رسول الله عز وجل ومن ثم فقد أصبح هؤلاء آلهة تعبد وتطاع من دون الله.

السؤال المطروح: هل تحول المسلمون الأوائل بمجرد إسلامهم إلى عباد صالحين أو أناسٍ يحملون تصورا صحيحا عن الإلوهية يمحو ما علق بأذهانهم وما توارثوه عن أجدادهم طيلة عصور مضت ويقدرون الله حق قدره وهل تخلصوا مما لديهم من أفكار جاهلية تجسيدية عن الذات الإلهية بمجرد شهادتهم ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أم أنهم أو بعضهم احتفظ بكمّ لا يستهان به من الجاهلية ﴿**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[1] ؟!.

أيضا فمن الضروري أن نسأل عما إذا كان المسلمون عبر السنين قد تحرروا من ربقة آلهة الأمر الواقع التي (تحيي وتميت عبر القتل والإرهاب) بعد أن أضيف إليهم المتألهون من (الأحبار والرهبان) الذين

(١) الحج ٧٤.

شاركوا الخالق المدبر الواحد الأحد في ألوهيته فقاسموه حق التشريع وقاموا بصياغة إسلام وضعي يحلون فيه الحرام ويحرمون فيه الحلال كما فعل من سبقهم من الأمم الذين ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1] المائدة، أم أنهم ساروا على ذات الطريق المعوج الذي سار عليه أولئك الذين ﴿**ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[2].

الجواب: لقد ظل الكثير منهم يحمل تلك الأفكار والتصورات كما أن عملية الانتقال لدى الكثير منهم من كدر التصورات الجاهلية إلى صفو التوحيد النقي الصافي لم تكن كاملة بل ظل البعض يحمل تصورا عن إله له صفات مادية محسوسة أو عن إله يمكن رؤيته جهرة، لا فارق بينهم وبين بني إسرائيل الذين قالوا (أرنا الله جهرة) أو أولئك الذين قالوا (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة).

الدليل على ما نقول موجود ومتاح في كتاب الله عز وجل واقرأ قوله تعالى ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا**

(١) المائدة ٣١.

(٢) المائدة ٧٧.

مَحْجُوراً﴾[١].

سيرد البعض علينا بأن هذا كلام الكفار وليس كلام المسلمين، وهو رد لا يقدم ولا يؤخر ولا ينفي حقيقة أن العقل البشري الجاهلي عقل قاصر ومحدود لا يؤمن بغير المحسوس ولا ينفذ إلى حقائق الأشياء فما بالك بقدرته على إدراك ما وراء الأشياء وما وراء الطبيعة وهو الغيب الذي اختص الله به نفسه وأفاض شيئا من علمه على عباده المخلصين.

الفارق بين الجاهلية في صورتها الوثنية والتوحيد الإلهي في صورته التنزيهية ليس فارقا بين نظرية ونظرية بل هو فارق جوهري بين من يؤمن بالمطلق الإلهي ويسعى للترقي والصعود نحوه وبين من حاصر إيمانه بمجموعة من القيم ترجع كلها إلى النسبي المخلوق.

في الحالة الأولى تصبح القيم المرجعية التي ينتمي إليها الإنسان قيما ثابتة مطلقة وفي الحالة الثانية تصبح منظومة القيم نسبية قابلة للتغيير والتبديل مع تغير الزمان والمكان وهذا ما يطالب به الآن جماعة اللا مؤمنين (الواقعيين) الذين يرون أن القيم والأخلاق تبدأ من أسفل إلى أعلى وليس العكس!!.

الإيمان بالله الخالق المنزه عن الأشباه والأعراض يعني أن ثمة خطا طوليا تصاعديا لا متناهيا على الإنسان المخلوق أن يمضي فيه تقربا من الكمالات الإلهية مهما كانت الصعوبات والعقبات ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ**

(١) الفرقان ٢١-٢٢.

إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[١]، في حين أن تجسيد الذات الإلهية يعني القبول بنسبية القيم الأخلاقية حيث يجري نسبة هذه القيم ومقارنتها بمحدود ولمسافة تزيد أو تنقص ومن ثم إمكانية (تنزيل الذات الإلهية أو تقريبها وقياسها إلى الذات الإنسانية) وليس العكس، ومن ثم فكلما ارتكس السلوك الإنساني وانحط وتدنى جرى تخفيض (القيم الإلهية) لتتواءم مع القيم الإنسانية المتدهورة حسب احتياجات الواقع البشري الذي يعيش دوما حالة صراع بين الخير والشر وبين قوى الصعود والارتقاء وقوى الانحطاط والتدني ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[٢].

لو كان من الممكن قياس الذات أو الصفات الإلهية نسبة إلى الذات الإنسانية أو الكيانات البشرية المخلوقة لأصبحت قيمة العدل الإلهي قابلة للقياس بمعايير العدالة البشرية ولأصبحت قيمة متغيرة وليست مطلقة ولأمكن للظلمة والمعتدين القول: (عدلنا قدر الإمكان) ومن ثم فقوله تعالى: (ليس كمثله شيء) ليس قاصرا على الذات والصفات وحسب أو على مجرد التصور النظري بل هو ركيزة تقوم عليها منظومة القيم الأخلاقية الإلهية العليا التي تشع منها والتي يتعين على البشر

---

(١) الانشقاق ٦.

(٢) الحج ٤٠.

السعي للاقتراب منها والتحلي بها.

ليس كمثله شيء، ليست مجرد تصور ذهني بل هي قيمة مطلقة تنبعث منها كل القيم الحاكمة والأساس مثل العدل ونبذ الظلم والتي انقسم وينقسم حولها البشر إلى فريقين ﴿**فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[1].

الوثنيّة المؤسّسة

لم يكتف أهل الزيغ والضلال سواء كانوا آلهة الأمر الواقع من شاكلة فرعون وهامان ونمروذ المتحالفين مع أكلة أموال الناس بالباطل من الأحبار والرهبان وأدعياء النسك والزهادة بإضلال الناس وصدهم عن سبيل الله عبر نشر الجهل ومناهضة الدين الخالص بل لقد ذهبوا أبعد من هذا على مر التاريخ عندما حولوا ذلك الزيغ وتلك الضلالات إلى مؤسسة ترعى شئون الكفر والوثنية في ربوع الدنيا.

نشأت مؤسسة الوثنية كشخص أو مكان توضع فيه تلك الأصنام أو تماثيل الإلهة، وكلمة تمثال تعني الصورة والمثال، ولا تعني الأصل بكل تأكيد.

ولأن الشيء لزوم الشيء فقد تطورت تلك المؤسسة بعد نشأتها

(١) الأعراف ٣٠.

وترسخ جذورها، وتشابكت مصالحها مع مصالح آلهة الأمر الواقع ثم تطورت الأمور بعد ذلك لتصبح المؤسسة الوثنية جزءا من النظام السياسي وها قد أصبحت الآن جزءا من النظام العالمي بنوعيه القديم والجديد.

من يقدر على محاربة كهنة معبد آمون منذ نشأته فما بالك بعد أن تحالفت المؤسسة الكهنوتية المعاصرة مع بوش وأوباما وأصبح استمرارها وبقاؤها ضمانا لاستمرار تدفق النفط لأمريكا وأوربا ولإدامة الحرب على حزب الله وسوريا عقابا لهما على وقوفهما في مواجهة إسرائيل الطفل المدلل للمؤسسة الوثنية العالمية.

لذا نود أن نلفت انتباه القارئ إلى أن ما نكتبه من كلمات قد تبدو نظرية وفلسفية، سيُنظر إليها بمثابة إعلان حرب من قبل (التحالف الدولي لدعم وإدامة شرعية كهنة معبد آمون) التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من (الشرعية الدولية) وضمانا لبقاء (كلمة وول ستريت خفاقة في ربوع العالمين)!!.

حينما يكتب البعض الآن أن تنظيمات الإرهاب العقائدي الوهابي التي تنشر الموت والذبح والخراب في شتى بقاع العالم الإسلامي هي الذراع العسكري لحلف الناتو الذي يقاتل نيابة عنه من أجل توسيع رقعة سيطرته وهيمنته ولئلا يقتل أصحاب البشرة البيضاء من أجل تحقيق أهداف يمكن لمن يحملون راية مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تحقيقها، دون إعلان حروب (صليبية) جديدة، عندها ندرك

خطورة ما تمثله عملية كنس تلك النفايات السامة التي أفضت إلى تخريب العقل (الإسلامي) وإبداله بكتلة اسفنجية قابلة للتشبع بكل ما يلقى فيها من نفايات سامة سائلة تهلك الحرث والنسل وتكثر في الأرض الفساد.

ألم يقل ربنا عز وجل: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[١].

هل نذهب إلى الله أم نأتي به إلينا؟؟!!

﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾[٢] الصافات.

﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾[٣].

أن تذهب إلى الله فهذا لا يعني حراكا مكانيا، لكنه يعني أن تسعى وتحاول الوصول إلى المطلق والتقرب من صفاته وكمالاته العليا.

الذهاب إلى الله قد يكون على مهل كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾، أو على عجل ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ**

---

(١) البقرة ٢٠٤-٢٠٦.

(٢) الصافات ٩٩.

(٣) الذاريات ٥٠.

لِتَرْضَى﴾[1].

ولأن الله هو العلي الأعلى فأنت لا تملك إلا أن تحاول وتسعى أن تقارب وتقترب بتصوراتك من المطلق لا أن تقرب المطلق لتصوراتك الضيقة المحدودة لأنك لو حاولت فعل ذلك فالنتيجة الحتمية لهذه المحاولة هي فقدان المطلق لإطلاقه وتحوله ليصبح محدودا مخلوقا إن لم يكن بصورة مادية، بل في الصورة الذهنية المرسومة عبر أدوات فكرية وعقلية قاصرة في مخيلة محدودة وقاصرة.

الفارق بين أن تذهب إلى الله عز وجل وتحاول الاقتراب منه (واسجد واقترب) وبين من يحاولون تقريب الباري عز وجل وجودا وصفاتا من تصوراتهم الذهنية المحدودة، هو ذاته بين من يزعمون أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا كما يزعم البخاري: **"**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا. حين يبقى ثلث الليل الآخر. فيقول: من يدعوني فأستجيب له! ومن يسألني فأعطيه! ومن يستغفرني فأغفر له!**"**، وبين من يقرأون قوله تعالى ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى**

---

(١) طه ٨٤.

* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[1].

يقول القُمي في تفسير هذه الآية: عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: ما بعث الله نبيا إلا صاحب مِرة سوداء صافية وقوله (وهو بالأفق الأعلى) يعني رسول الله صلى الله عليه وآله (ثم دنا) يعني رسول الله صلى الله عليه وآله من ربه عزوجل (فتدلى) قال: إنما نزلت هذه "ثم دنا فتدانى" (فكان قاب قوسين او أدنى) قال كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية (أو أدنى) أي من نعمته ورحمته قال بل أدنى من ذلك (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال وحي مشافهة[2].

إنه القرب من الله عز وجل بلا مسافة (قاب قوسين أو أدنى) وهو قرب يقربك من الكمالات الإلهية المطلقة ويمنحك فرصة التخلق بالأخلاق الإلهية السامية والرفيعة وهي السبب الأصلي وراء إرسال الرسل وتكليفهم بحمل الأمانة.

الحديث عن عقيدة التوحيد ليس دوما حديثا نظريا فلسفيا بل هو مقارنة بين الدين الخالص الذي اختاره الله لنا ودين مزيف يريد البعض فرضه على البشرية وقد نجح في ذلك نجاحا جزئيا حيث أفسح نهج الانحراف الأموي مجالا واسعا لاستمرار آلهة الأمر الواقع من الجبابرة والطغاة المتحالفين مع المتألهين المنحرفين من الأحبار والرهبان الراغبين

(١) . النجم ٨-١٨.

(٢) تفسير القمي للقمي ج٢ ص٣٣٤ .

في إزاحة أولي الأمر الذين أوجب الله علينا طاعتهم وعرفنا منزلتهم ناهيك عن شياطين النفس الأمارة بالسوء والهوى المضل في تقديم (ثالوث أموي مقدس)، نجح في فرض تصوراته على أمة لا إله إلا الله حتى ولو كان هذا بصورة جزئية وغير كاملة نظرا لاستمرار وبقاء نهج مقاومة الضلال والتصدي للانحراف ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[1].

عقيدة التوحيد لم تكن يوما ما عهدة الفلاسفة والمتكلمين دون غيرهم فهي ليست منفصلة بحال عن العبادات ولا عن الأخلاق وهي ليست منفصلة عن عالم السياسة الإسلامية القائمة على محور أساس هو العدل وهو جزء لا يتجزأ من عقيدة التوحيد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومن نهج نهجهم أو اقتبس منهم كالمعتزلة، أما عند غيرهم فالعدل مسألة فائضة عن الحاجة لا يلزم تحققها وهي ليست ركنا من أركان التوحيد.

الثالوث الأموي غير المقدس

الثالوث الأموي غير المقدس الذي جرى اعتماده وترسيخه عمليا ثم نظريا من خلال المنظرين الذين جرى فرضهم على الناس بالحديد والنار يقوم على ثلاثة أركان.

---

(١) هود ١١٦.

الركن الأول: هو تخفيض تصور المسلمين للذات الإلهية من الإطلاق والتنزيه إلى النسبية ومِن (ليس كمثله شيء) ليصبح سبحانه مشابها لكثير من الأشياء (كالبدر لا تضامون في رؤيته)، وأخطر ما في هذا التخفيض لا يتعلق بالصفات (الجسدية الزائدة) التي أثبتها فريق الجهلة للخالق جل وعلا، بل في تخفيض أخلاق الله من كونها مطلقة لتصبح نسبية ومن ثم تصبح كل القيم الأخلاقية في أرض الواقع نسبية وخاضعة لمقتضى الحال.

الركن الثاني: هو تثبيت مكانة وشرعية آلهة الأمر الواقع من الطغاة والمجرمين والجبابرة وتسويغ ظلمهم للعباد وافتراءهم وكذبهم على الله عز وجل.

الركن الثالث: تثبيت مكانة الأحبار والرهبان المتألهين الذين أحلوا الحرام وحرموا الحلال فهم ثالثة الأثافي ولولاهم لما صمد وبقي الركن الأول ولا الثاني.

مما يثير الحيرة والتساؤل كيف تجاهل من يسمونهم بعلماء الكلام قوله تعالى ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[1]، بينما هم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها استنادا لأدلة موهومة في مواجهة ما يصفونه بالخطر الأكبر ألا وهو الغلوّ في الأنبياء

---

(١) الفرقان ٤٣-٤٤.

والصالحين الذي يقود حتما إلى الشرك؟!.

لماذا لم يستفرغ هؤلاء شيئا من جهدهم في تبصير الأمة بخطر اتخاذ الأهواء إلها من دون الله في نفس الوقت الذي فرض فيه ملوك الوهابية سياجا وأسلاكا شائكة حول مراقد أئمة أهل البيتعليهم السلام بل لقد وصل الخطب إلى حد استخدام المعاول لهدم هذه البقاع الطاهرة وتحويلها إلى أتربة وأنقاض.

الانفصال والانفصام بين علم الكلام والأخلاق

ليس سرا أن المسلمين القدامى والمعاصرين لا يجدون بأسا ولا ضررا في الفصل بين العقيدة والفقه ومن ثم بين العقيدة والأخلاق.

تسمع أن فلانا (أشعري الاعتقاد شافعي المذهب)، وهلم جرا.

المعنى أن لا أثر لهذه في تلك ولا لتلك في هذه، فالمذهب الفقهي ومن ثم الحلال والحرام شأن منفصل عن التصور الاعتقادي، رغم أن الواقع والتاريخ يشهدان على زيف هذا التصور.

ليس من المستساغ ذلك الفصل بين المذهب الفقهي أو مجموعة الأحكام التي جرى تثبيتها في كتب الفقه والتصور العقائدي وأخيرا المنهج الفكري الذي يمتد ويتسع ليشمل هذه الأقسام السابق ذكرها فضلا عن الرؤية التي يطرحها المفكرون لشتى مناحي الحياة استنادا لذات القواعد والأسس التي قدمت لنا التصور العقائدي والأحكام الفقهية.

لذا فمجموعة الأسس التي أقرّها منظّرو العقيدة لا تنفصل عن واقع الأمة التاريخي ولا مستقبلها الذي يحدده قناعات أبناء هذه الأمة.

يرى البعض أن القول بالجبر والإرجاء قاد أصحاب هذا التصور لارتكاب أبشع الجرائم في حق أمة لا إله إلا الله اتكالا منهم على أن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا، بينما نعتقد نحن عكس ذلك وهو أنهم بعد أن ارتكبوا ما ارتكبوا من جرائم لجأوا وألجئوا أزلامهم من أدعياء الحكمة والعقل والكلام للقول بالجبر والإرجاء تبريرا لجرائمهم وأفعالهم السوداء.

القول بالجبر والإرجاء هو المدخل للانتهازية اللا أخلاقية أو لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة أو لمبدأ (الحساب مفتوح على النوتة الربانية) وهو سبحانه وتعالى (أكرم من أن يحاسب متدينيه)!!!!.

ومن ثم فالعقائد (الوضعية) أي تلك التي وضعت ولفقت تبعا لأهواء كبار المجرمين جاءت خادمة ومبررة لأفعال هؤلاء الجبابرة ولارتكابات دولة الظلم والطغيان وليس العكس على الإطلاق.

الآن يواجه العالم العربي والإسلامي تحديا بالغ الخطورة بل وربما تحديا وجوديا ناجما عن انتشار (العقيدة الوهابية) انتشار النار في الهشيم بل وتحولها إلى سلاح دمار شامل يتجاوز في مداه السلاح النووي الذي لم يستخدم منذ صناعته إلا ضد مدينتين في اليابان هما هيروشيما وناجازاكي، بينما نجح المعتقد الوهابي في إشعال عشرات الحروب في عشرات البقاع من العالم وربما تجاوز عدد ضحايا هذه الحروب عدد من

سقطوا بالسلاح النووي.

إنها عقيدة إبادة متنقلة ترفع شعارات مشابهة لشعارات الماركسية منها شعار (لا واسطة بين الخالق والمخلوق) وهو شعار لا يختلف كثيرا عن شعار (يا عمال العالم اتحدوا)، من ناحية بريقه الشكلي وفراغه من أي مضمون.

في الحالة الماركسية فالذين رفعوا شعار (يا عمال العالم اتحدوا) فرضوا عليهم لجنة مركزية للحزب الشيوعي تتكون من أفنديات ذوي ياقات بيضاء أغلبهم لم يمارس أي حرفة يدوية مهمتهم الإشراف على توحيد عمال العالم، ليمارسوا هم احتكار السلطة والثروة، أما الحالة الوهابية فقد شنت حرب إبادة واسعة النطاق على أهل بيت النبوة (الراسخين في العلم) بهدف إقصائهم ومحو وجودهم ليحل محلهم هيئة شيوخ البلاط السعودي وقيادة مخابراتهم (بندر بن سلطان) من أجل توجيه هذا الشباب المهتاج المشتاق لسفك دماء مئات الآلاف من الشيعة والصوفية (القبوريين) وإزالة قبور الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام والصحابة والصالحين دفاعا عن (دين التوحيد الوهابي الجديد الذي هو حق الله على العبيد)!!.

أين ذهب الأشاعرة والمعتزلة؟!

فوضى عارمة

حينما بدأت الكتابة حول عقيدة التوحيد: مقارنا بين مدرسة أهل البيت وغيرها من المدارس الكلامية، كان أول ما تبادر إلى ذهني المقارنة بين كتب مثل (الملل والنحل) للشهرستاني و(عقائد البيهقي) و(عقائد الصدوق) و(تصحيح الاعتقاد) للمفيد، ثم انتبهت إلى أن ثمة حالة عارمة من الفوضى تعم الساحة اللاشيعية حيث لا يعرف أحدٌ من أين ولا إلى أين يمضي؟!.

الآن لدينا (إخوان قطبيون) يدينون بالولاء الفكري لسيد قطب منظّر الإخوان الشهير وآخرون (بَنيون) نسبة لحسن البنا مؤسس الجماعة وبين هؤلاء وهؤلاء تبقى الحقيقة ضائعة فلا أحد من هؤلاء درس أو فهم ما جاء به لا سيد قطب ولا حسن البنا وربما لم يفهم حسن البنا نفسه شيئا مما نقله فيما يسمى ب(الأصول العشرين) حرفيا عن كتيب (التوحيد الوهابي)، أما من الناحية الواقعية فهؤلاء وهؤلاء عالة في معارفهم ومفاهيمهم العقائدية على خطباء المنابر الندابين الذين نهلوا (علومهم) من كتاب التوحيد الوهابي أو نقلا عن خطيب عن خطيب دون أن يعرف أحد على وجه الدقة أصل الكلام ولا من أين جاء.

لو تأملنا في عقائد البيهقي فلن نجد أثرا ولا ذكرا لا لحرمة التوسل ب(الأموات) ولا (التبرك بقبور الصالحين) وهي عماد العقيدة الوهابية التيموية، أما الأهم من هذا وذاك فهو أنك لن تجد أثرا لما أسماه سيد

قطب بالحاكمية وجعله ركنا ركينا للمعتقد التوحيدي في ثوبه الإخـواني بحيث إنّ من أنكر ما أسماه بالحاكمية الإلهيـة صـار مـشركا وكـافرا وإن صلى وإن صام وإنّ من أقر بها صار مسلما موحدا ومؤهلا لقيـادة سـفينة التوحيد في ثوبها الجديد.

كيف يمكننا أن نصنف ما كتبه سـيد قطـب في (معـالم في الطريـق) بعيدا عن العقائدي وندرجه ضمن السياسي وحـسب؟! ودونكـم هـذا النص العقائدي الوارد في هذا الكتاب:

لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيـدة هـي القـضية التـي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسـول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا: أن لا الـه إلا الله، وأن يمضي في دعوته يعرّف الناس بربهم الحق، ويعبّدهم له دون سواه.

ولم تكن هذه -في ظاهر الأمر وفي نظرة العقل البـشري المحجـوب- هي أيسر السبل إلى قلوب العرب! فلقد كـانوا يعرفـون مـن لغـتهم معنـى (إله) ومعنى: (لا إله إلا الله) .

كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا.. وكـانوا يعرفـون أن توحيد الألوهية وإفراد الله-سبحانه- بها، معناه نزع السلطان الذي يزاولـه الكهّان ومشيخة القبائل والأمـراء والحكـام، وردّه كلـه إلى الله.. الـسلطان على الضمائر، والسلطان عـلى الـشعائر، والـسلطان عـلى واقعيـات الحيـاة، والسلطان في المال، والسلطان في القضاء، والسلطان في الأرواح والأبدان.. كانوا يعلمون أن (لا اله إلا الله) ثورة على السلطان الأرضي الذي يغتـصب

أولى خصائص الألوهية، وثورة على الأوضاع التي تقوم على قاعدة من هذا الاغتصاب، وخروج على السلطات التي تحكم بشريعة من عندها لم يأذن بها الله.. ولم يكن يغيب عن العرب-وهم يعرفون لغتهم جيداً ويعرفون المدلول الحقيقي لدعوة-(لا اله إلا الله)- ماذا تعني هذه الدعوة بالنسبة لأوضاعهم ورياساتهم وسلطانهم، ومن استقبلوا هذه الدعوة-أو هذه الثورة- ذلك الاستقبال العنيف، وحاربوها هذه الحرب التي يعرفها الخاص والعام.. فَلِمَ كانت هذه نقطة البدء في هذه الدعوة؟ ولم اقتضت حكمة الله أن تبدأ بكل هذا العناء؟).

لا يخلو كلام سيد قطب قطعا من الصحة وهو ما أشرنا إليه في مقدمة هذا البحث عن آلهة الأمر الواقع وعن المتألهين من الأحبار والرهبان، إلا أن هذه البراءة التي تبدو ظاهريا من خلال هذا الكلام سرعان ما تتلاشى وتختفي حينما نعرف أن الحاكمية الإلهية التي يتحدث عنها قطب هي (حاكمية جماعة الإخوان، حاكمية بديع ومرسي وخيرت الشاطر) وأن الكهان الذين استعبدوا العرب قبل بدء الإسلام عادوا ليظهروا بثياب مختلفة وبأسماء إسلامية قديمة مثل ابن شهاب الزهري أو معاصرة مثل القرضاوي وعبد الرحمن البر وأن معضلة الأمة الإسلامية لم تكن متعلقة بافتقارها للمبادئ والقواعد الضرورية لتطبيق الحاكمية الإلهية بل بسبب الإصرار على تزييف هذه القواعد واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير وتنحية الإمام علي بن أبي طالب وتولية معاوية ابن آكلة الأكباد أو قتل الإمام الحسين وقطع رقبته ووطئه بالخيول لتعلو كلمة يزيد القرود أو اعل

هبل اعل يزيد!!

المفارقة الأخرى ترتبط بالعلو الوهابي الأخير الذي طغى وغطى على أصوات من يصرون حتى هذه اللحظة على امتلاكهم المطلق للحكمة وفصل الخطاب ممن يصنفون أنفسهم ضمن (الأشاعرة).

وبينما يعلو صوت الزعيق الوهابي التكفيري الذي اجتاح معاقل هؤلاء دون أن يكون لديهم قدرة على مواجهة الفكر بالفكر، كما أننا لم نلمح يوما بريق سلاحهم، ولا حتى خلف ثيابهم، اللهم إلا إذا كانت حربا على الشيعة والتشيع لأهل البيت وهو ما شاهدناه بأعيننا خلال العامين الماضيين منذ استلام الإخوان للسلطة بداية عام ٢٠١١ وحتى رحيلهم عنها غير مأسوف على شبابهم ولا تاريخهم يوم ٣-٧-٢٠١٣.

أي مقارنة إذن يمكن أن نجريها بين المنهج العقائدي لأهل البيت عليهم السلام ومنهج غيرهم وأي منهج يمكن مقارنته بمنهج الأئمة من آل محمد عليهم السلام وكلهم يزعم أنه المالك الأوحد للحقيقة وأنه وحده رمز الوسطية والاعتدال؟!.

أصل المسألة

لو حاولت أن تبحث في أصل الخلاف العقائدي فسترى جملة من الأسماء مقرونة بلقب الإمام.

أحمد بن حنبل والبيهقي والشهرستاني والغزالي وابن تيميه وغيرهم ناهيك عن إمام العصر وأعجوبة الزمان حسن البنا.

أنت تتلقى عقيدتك من بشر عاديين يزعم البعض أنهم خير البشر والأهدى سبيلا وأن الله تبارك وتعالى اختارهم وآثرهم بعلمه المكنون وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا بينما يصر هؤلاء على تجاهل أهل البيت عليهم السلام وأولهم علي بن أبي طالب باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله ويعدون الرجوع إليهم كفرا وإلحادا ووثنية .... ما لكم كيف تحكمون؟!..

قبل بضعة شهور جرى نقاش بيني وبين أحد الأصدقاء اشتهر اسمه في الفترة الأخيرة وكان موضع الجدال متعلقا بفتواه التي تبيح الأشربة التي يتواجد بها نسبة من الكحول وهو يرى سيرا على آثار من سبقه حلها وعدم حرمتها وحاولت إقناعه بالنظر في الأدلة التي استند إليها من أباح الخمر بعنوان النبيذ فلم أجد أذنا واعية ورأيت إصراره على السير خلف (آبائه الأولين) لقناعته أنهم هم الراسخون في العلم!!.

كيف ولماذا؟!.

لن نجد جوابا مقنعا.

وإذا كان من السهل على هذا الصديق وغيره من المتصدين للفتوى أن يسلموا بأن الآنف ذكرهم مسبوقا بلقب إمام وأئمة هم المرجع والملاذ فنحن سلمنا واعتقدنا وآمنا أن أئمة أهل البيت (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) هم الراسخون في العلم وهم أهل الولاية وهم واسطة العقد بين الخالق والمخلوق وهم ﴿**قُوَّامُ اللَّه عَلَى خَلْقه وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عبَاده وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ**﴾.

وإذا كان ذلك كذلك وهو يقينا عندنا كذلك فما بالنا لا نستقي نهجنا العقائدي من صفو فراتهم خاصة ونحن نفعل هذا بالدليل والبرهان.

نعمل بوصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: **﴿أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ﴾**، ونتجنب الوقوع فيما حذرنا منه **﴿عِبَادَ اللَّهِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ﴾**[1].

العقيدة الإلهية في مواجهة العقيدة الوضعية

اعتدنا أن نسمع عن القوانين الوضعية، لكننا لم نسمع من يحذرنا من عقيدة وضعية باعتبار أن عقيدة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أمر مفروغ منه وأن العالم ينقسم الآن إلى مؤمنين وعلمانيين وأن العلمانية ظهرت منذ قرنين من الزمن وتعني استبدال قوانين السماء بقوانين يضعها أهل الأرض أما قبل ذلك فكان الكل ينعمون بالتوحيد الخالص والدين الخالص ولم يكن هناك انحراف ولا منحرفون ولا زيغ ولا زائغون ولا هم يحزنون!!.

أما إذا انتقلنا إلى أرض الواقع فسنرى بوضوح أن المتألهين من

---

(١) نهج البلاغة للشريف الرضي تحقيق صبحي صالح (ط دار الكتاب اللبناني) ج١ ص١٥٢.

الأحبار والرهبان وأدعياء التدين والإمامة لم يتركوا بقعة من الأرض ولا من الشرع إلا لوّثوها بجهالتهم وبغيهم وظلمهم ووقاحتهم وجرأتهم على الله.

لو تأملنا في بعض (الاعلانات) العقائدية التي أطلقها بعض الشيوخ المغمورين والتي تبناها حكام سفاحون مجرمون قاموا بفرضها على الرأي العام ولاحظنا كم التناقض بينها لأيقنا باستحالة أن يكون الشيء ونقيضه من عند الله ولأيقنا أن الكثير مما ورد في هذه النصوص هي وضع بشري وافتراء على الله.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(1).

الوضع هو الوضع سواء كان في العقيدة أو في التشريع.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(2).

لدينا إذا عقائد وضعية من صنع البشر هدف واضعوها في النهاية إلى الجمع بين الإيمان بالله والإيمان بالطواغيت البشرية المتألهة **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ**

---

(1) النساء ٨٢.

(2) النحل ١١٦-١١٧.

أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾[1].

وبينما يؤكد القرآن الكريم في آية الكرسي على حتمية الكفر بالطاغوت كحقيقة ملازمة للإيمان بالله تبارك وتعالى لا تتحقق هذه إلا بتلك ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[2]، رأينا كيف قام وضّاع العقائد المفترون على الله كذبا بصياغة عقيدة (توحيدية) جرى نسبتها إلى الإسلام زورا وبهتانا تجعل من الإيمان بطواغيت ذلك الزمان وكل زمان جزءا من التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

يقول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ص ٢٨: (وكانت الآراء في الخلفاء والخلافة تسير مع الآراء في العقائد كأنها مبنى من مباني الاعتقاد الإسلامي).

لا نفهم كيف أصبح الإيمان بخلافة وشرعية خلفاء (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) جزءا مكملا للإيمان بالله عز وجل؟!

العقيدة وتطورها التاريخي

من المفترض أن ليس هناك ما يمكن وصفه بالتطور العقائدي

---

(١) النساء ٦٠-٦١.

(٢) البقرة ٢٥٦.

مقارنة بها يمكن وصفه بالتطور الفقهي.

الفقه في حقيقته واحد موحد لكن أسلوب وطريقة طرحه وتقديمه للناس فضلا عن مواضيعه قابلة للتطور وفقا لتطور الزمان وما يستجد من مسائل ووفقا لطريقة العرض إلا أن القيم والمبادئ الأخلاقية والحلال والحرام ثابت في جوهره لا يتغير ولا يتطور.

أما العقيدة فهي ثابتة ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾[1]، وإذا كان من مجال للتطور فهو في طريقة العرض وأساليب الاستدلال لا أكثر ولا أقل.

الواقع يقول أن ثمة حال من التدهور أو التطهور؟؟ طرأت على أغلب مباني الفكر الإسلامي التي كانت تعاني أصلا من الهشاشة ثم جاء الدخول الوهابي المدعوم بمليارات النفط ليعطيها دفعة لأسفل بدلا من محاولة انتشالها وتصحيح أخطائها السابقة!!.

الآن تعقد الجلسات والندوات منددة بالتطرف الوهابي دون أن تجرأ حتى على تسميته باسمه الوهابي بل تناديه باسم التدليل أو الدلع (التطرف) لأن لا أحد من القابعين على رأس الأمة الجاثمين على أنفاسها يملك القدرة على قول الحق... لو كانوا يعلمون من أين تشرق الشمس!!.

ماذا صنع هؤلاء القابعين على صدر الأمة لتفنيد الخرافات

(١) البقرة ١٦٣.

والترهات الوهابية التي تحرك عشرات الآلاف من القطعان الإرهابية دفاعا عما يسمونه بالعقيدة الصحيحة؟!.

الجواب: لا شيء!!.

الأمة إذن تعاني من تدهور مزمن ناجم عن تصدي الجهلة والمرتزقة لهذا المجال الحيوي والجوهري والرغبة في إرضاء الطواغيت رغم أننا أمرنا أن نكفر بهم وأن نطأهم بأقدامنا.

عندما تصدى الذين في قلوبهم زيغ لقيادة الأمة وأُبعد الراسخون في العلم، وقعت الواقعة ونزلت النازلة التي ليس مثلها نازلة ﴿**فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبهمْ زَيْغٌ فَيَتَّبعُونَ مَا تَشَابَهَ منْهُ ابْتغَاءَ الْفتْنَة وَابْتغَاءَ تَأْويله وَمَا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسخُونَ في الْعلْم**﴾[1].

قلنا إن هذه المؤامرة الكبرى أدت لظهور هذا الثالوث غير المقدس، الذي أشرنا إليه سابقا.

أقصي الراسخون في العلم واعتلى منابر العلم هؤلاء الأشباه الذين ﴿**يَذْرُون الرِّوَايَات ذَرْوَ الرِّيح الْهَشيمَ لَا مَليٌّ وَاللَّه بإصْدَار مَا وَرَدَ عَلَيْه وَلَا أَهْلٌ لمَا قُرِّظَ به لَا يَحْسَبُ الْعلْمَ في شَيْء ممَّا أَنْكَرَهُ وَلَا يَرَى أَنَّ منْ وَرَاء مَا بَلَغَ مَذْهَباً لغَيْره**﴾ كما وصفهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

لنأخذ مثالا على الطريقة التي تسللت من خلالها عقائد التجسيد

---

(١) آل عمران آية ٧.

إلى صميم العقل الإسلامي:

من ذلك ما رواه الذهبي في ميزان الاعتدال عن عبد الله ابن ذكوان، أبي الزناد واصفا إياه بالإمام الثبت قال ابن معين: ثقة حجة وروي عن أحمد بن حنبل قال: كان سفيان يسمي أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث، قال البخاري: أصح أحاديث أبي هريرة: أبو الزناد عن الأعرج عنه. قال يحيى بن معين قال مالك ابن أنس: كان أبو الزناد كاتب هؤلاء - يعنى بنى أمية - وكان لا يرضاه. حدثنا ابن القاسم قال: سألت مالكا عمن يحدث بالحديث الذي قالوا إن الله خلق آدم على صورته، فأنكر ذلك مالك إنكارا شديدا ونهى أن يحدث به أحد، فقيل له إن أناسا من أهل العلم يتحدثون به! قال: من هم؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء ولم يكن عالما ولم يزل أبو الزناد عاملا لهؤلاء حتى مات.

كما ذكر ابن قتيبة في (المعارف):

موالي عثمان: ومن موالي عثمان أيضاً كيسان أبو فروة وابنه عبد الله بن أبي فروة، كان عظيم القدر وكان صاحب أمر مصعب بن الزبير، فلما قتل مصعب حمل مما كان معه من المال عشرة آلاف درهم فذهب بها إلى المدينة، وعددهم بالمدينة كثير وقدرهم عظيم. ومن موالي عثمان خدان بن أبان وولده وأبو الزناد وولده.

وهو أيضا **ابن شقيق أبي لؤلؤ قاتل عمر بن الخطاب.**

روى ابن أبي خيثمة في تاريخه: ٢٨٠٧- أخبرنا مصعب بن عبد الله،

قال: أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة عثمان بن عفان وقالوا: **كان ذكوان أخا أبي لؤلؤ قاتل عمر بن الخطاب بولادة العجم**.

أي أن أبا الزناد كان أمويا عثمانيا بالولاء فارسيا مجوسيا مشركا كما قال يحيى بن معين ٢٨١٣- سمعت يحيى بن معين يقول (**أبو الزناد "مشرك" مولى عائشة بنت عثمان بن عفان**)[١] ومن ثم فإن اختياره للدخول في خدمة البلاط الأموي لم يكن خبط عشواء ولا ضربة حظ أو رمية من دون رام فقد انتهى الحال بالمسلمين إلى استقرار الدين والدنيا بأيدي بني أمية وخدمهم وحشمهم حتى ولو بقوا على شركهم القديم!!.

والشاهد أن هذا المجوسي المشرك ترقى في البلاط الأموي ليصبح من أعمدة النقل والرواية عن رسول الله وفقا للمنهج الأموي وأنه ظل وفيا لمجوسيته ومن ثم فقد أسهم في زرع تلك التصورات الوثنية داخل التصور الإسلامي الذي تحول بعد ذلك ليصبح (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد).

لنأخذ نموذجا آخر على حالة التطهور التي مرت بها العقيدة على يد من يصر البعض حتى الآن على وصفهم بالإمام الثبت بمن فيهم المجوسي أبو الزناد.

---

(١) تاريخ ابن أبي خيثمة ص ٢٦٥-٢٦٦ ج٢.

انشغل المجتمع الإسلامي في عهد الخليفة العباسي المأمون بما يسمى بقضية خلق القرآن وهي وجهة نظر الخليفة مقابل وجهة نظر (الإمام الثبت أحمد بن حنبل) الذي كان يصر على أن القرآن كلام الله القديم.

لنقرأ ما قاله الشيخ محمد عبده حول هذه المسألة في كتاب رسالة التوحيد:

(أما ما نقل إلينا من ذلك الخلاف الذي فرق الأمة وأحدث فيها الأحداث خصوصا في أوائل القرن الثالث من الهجرة وإباء بعض الأئمة أن ينطق بأن القرآن مخلوق فقد كان منشؤه مجرد التحرج والمبالغة في التأدب من بعضهم وإلا فيجل مقام الإمام أحمد عن أن يعتقد أن القرآن المقروء قديم وهو يتلوه كل ليلة بلسانه ويكيفه بصوته) ص٥٣ رسالة التوحيد، ط دار المعارف.

المعنى أن الدخول على خط التنظير للعقيدة الإسلامية أصبح أمرا متاحا لكل من هب ودب وسماه أشباه الناس عالما وليس به، ومن ضمن من دخل على الخط المجوسي أبو الزناد الذي روى أكذوبة أن الله خلق آدم على صورته (صورة الله) تعالى الله عما يقول الواصفون والناعتون علوا كبيرا.

كما بقي افتعال المعارك العقائدية حول (خلق القرآن) مجالا مفتوحا أمام طلاب الشهرة والزعامة والراغبين في الصدارة والتقدم دون امتلاك ما يكفي من المؤهلات اللازمة لهذا التصدر.

موضوع عقيدة التوحيد

لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّـا اللَّـهُ وَاسْـتَغْفِرْ لِـذَنْبِكَ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١).

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وكَمَالُ مَعْرِفَته التَّصْديقُ به وكَمَالُ التَّصْديق به تَوْحيدُهُ وكَمَالُ تَوْحيده الْإِخْلَاصُ لَهُ وكَمَـالُ الْإِخْلَـاصِ لَـهُ نَفْـيُ الصِّفَات عَنْهُ» (٢).

يبدأ التوحيد بمعرفة أن هـذا الكـون لـه خـالق مـدبر يتلـو ذلـك الاعتراف والإقرار أي الشهادة بتلك الحقيقة وينبني عـلى ذلـك الإقـرار بأنه وحده الإله المعبود ولا يتحقق الإقرار بالتوحيد ولا يكتـسب قيمتـه إلا بالإخلاص لله عز وجل وإفراده بما يـستحق مـن صـفات لا يـشاركه فيها أحد في هذا الكون لا من البشر ولا من الملائكة ولا من الجان ومـن ثم يصبح تنزيه الخالق تنزيها مطلقا ونفي الصفات المتشاركة بين الخـالق والمخلوق كمالا لهذا الإخلاص أو الانقطاع لله عز وجل.

---

(١) سورة محمد ١٩.

(٢) نهج البلاغة تحقيق صبحي صالح ج١ ص٣٩، الخطبة: ١.

الشيخ محمد عبده

ولأن العقيدة قائمة على شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، بوابة الدخول إلى الإسلام فالتوحيد كما يقول الشيخ محمد عبده في كتابه (رسالة التوحيد): علم يُبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينفى عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم.

أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وسمي هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعث النبي صلى الله عليه وآله.

وقد يسمى علم الكلام إما لأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى هي أن كلام الله المتلو حادث أو قديم، وإما لأن مبناه الدليل العقلي وأثره يظهر من كل متكلم في كلامه وقلما يرجع فيه إلى النقل اللهم إلا بعد تقرير الأصول الأولى ثم الانتقال منها إلى ما هو أشبه بالفرع عنها وإن كان أصلا لما يأتي بعدها، وإما لأنه في بيان طرق الاستدلال على أصول الدين أشبه بالمنطق في تبيينه مسالك الحجة في علوم أهل النظر وأبدل المنطق بالكلام للتفرقة بينهما. ٢١ رسالة التوحيد.

جاء القرآن يصف الله بصفات وإن كانت أقرب إلى التنزيه مما وصف به في مخاطبات الأمم السابقة فمن صفات البشر ما يشاركها في الاسم والجنس كالقدرة والاختيار والسمع والبصر وعزا إليه أمورا يوجد ما يشبهها في الإنسان كالاستواء على العرش والوجه واليدين.

ثم أفاض في القضاء السابق وفي الاختيار الممنوح للإنسان وجادل الغالين من أهل المذهبين ثم جاء بالوعد والوعيد على الحسنات والسيئات ووكل الأمر في الثواب والعقاب إلى مشيئة الله وأمثال ذلك مما لا حاجة إلى بيانه في هذه المقدمة.

فاعتبار حكم العقل مع ورود أمثال هذه المتشابهات في النقل فسح مجالا للناظرين خصوصا ودعوة الدين إلى الفكر في المخلوقات لم تكن محدودة بحد ولا مشروطة بشرط، للعلم بأن كل نظر صحيح مؤد إلى الاعتقاد بالله على ما وصفه بلا غلو في التجريد ولا دنو من التحديد. ص٢٤.

كانت أول مسألة ظهر الخلاف فيها مسألة الاختيار واستقلال الإنسان بإرادته وأفعاله الاختيارية ومسألة من ارتكب الكبيرة ولم يتب، فمن السلف من كان على رأي أن العبد مختار في أعماله الصادرة عن علمه وإرادته بينما نازع أهل الجبر الذين ذهبوا إلى أن الإنسان في عمله الإرادي كأغصان الشجرة في حركاتها الاضطرارية. ٢٧وكانت الآراء في الخلفاء والخلافة تسير مع الآراء في العقائد كأنها مبنى من مباني الاعتقاد الإسلامي. ٢٨.

في العصر العباسي كان علم الكلام نبتا لم يتكامل نموه، وبدأ علم الكلام كما انتهى مشوبا بمبادئ النظر في الكائنات جريا على ما سنّه القرآن من ذلك، وحدثت فتنة القول بخلق القرآن أو أزليته وانتصر للأول جمع من خلفاء العباسيين وأمسك عن القول أو صرح بالأزلية عدد غفير من المتمسكين بظواهر الكتاب والسنة أو المتعففين عن النطق بما فيه مجاراة للبدعة وأهين في ذلك رجال من أهل العلم والتقوى وسفكت فيه دماء بغير الحق وهكذا تعدّى القوم حدود الدين باسم الدين.

على هذا كان النزاع بين ما تطرف من نظر العقل وما توسط أو غلا من الاستمساك بظاهر الشرع، والكل على وفاق على أن الأحكام الدينية واجبة الاتباع. ص٢٩.

ثم جاءت فتن طلاب الملك من الأجيال المختلفة وتغلب الجهال على الأمر وفتكوا بما بقي من أثر العلم النظري النابع من عيون الدين الإسلامي فانحرفت الطريق بسالكيها ولم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاور في الألفاظ وتناظر في الأساليب.

على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور ثم انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم فجاء قوم ظنوا في أنفسهم ما لم يعترف به العلم لهم فوضعوا ما لم يعد للإسلام قبل باحتماله غير أنهم وجدوا من نقص المعارف أنصارا ومن البعد عن ينابيع الدين أعوانا فشردوا بالعقول عن مواطنها وتحكموا في

التضليل والتكفير وغلوا في ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الأمم في دعوى العداوة بين العلم والدين وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام وهذا كفر وهذا إسلام والدين من وراء ما يتوهمون والله جل شأنه فوق ما يظنون وما يصفون ولكن ماذا أصاب العامة في عقائدهم ومصادر أعمالهم في أنفسهم بعد طول الخبط وكثرة الخلط، شيء عظيم وخطب عميم. ص٣٣-٣٣٤.

والذي علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد لا دين تفريق في القواعد، العقل من أشد أعوانه والنقل من أقوى أركانه وما وراء ذلك فنزغات شيطان أو شهوات سلاطين والقرآن شاهد على كل بعمله قاض عليه في صوابه وخطله.

الغاية من هذا العلم القيام بفرض مجمع عليه وهو معرفة الله بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به والتصديق برسله على وجه اليقين الذي تطمئن به النفس حسبما أرشدنا إليه الكتاب فقد أمر بالنظر واستعمال العقل فيما بين أيدينا من ظواهر الكون وما يمكن النفوذ إليه من دقائقه تحصيلا لليقين بما هدانا إليه وتبشيع ما كانوا عليه من ذلك واستتباعه لهدم معتقداتهم وإمحاء وجودهم الملي فإن التقليد كما يكون في الحق يأتي في الباطل وكما يكون في النافع يحصل في الضار فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ولا تجمل بحال الإنسان. ص٣٤ انتهى النقل.

حقيقة الرسالة والرسل من صلب الموضوع

لا ينفصل البحث في مسائل الذات والصفات عن البحث في حقيقة الرسل وكنه رسالتهم وإثبات صحتها ودحض المطاعن التي توجه للرسل والأنبياء وامتدادهم أي مسألة الإمامة التي تفرد بها الشيعة الإمامية وتجاهلها غيرهم تجاهلا غير تام حيث أثبتوا الإمامة لغيرهم كلما اقتضت الضرورة ذلك ومن بينهم (الإمام الثبت المجوسي أبو الزناد) وصولا (للإمام الشهيد حسن البنا)!!.

وعذرا لمن يلوموننا على السخرية من أناس يستخفون ويستهزئون بنا ويستضعفون عقولنا ويتعاملون معنا كقطيع من الأغنام لا يحق له أن يسأل عما أثبته هؤلاء لابن أبي الزناد ونفوه عن صادق وباقر آل محمد (سلام الله عليهم) فضلا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

لا ينفك البحث في مسألة الرسول والإمامة عن البحث في الذات والصفات لأننا لم نعرف هذه المسائل إلا من خلال معرفتنا بالرسل والأئمة (سلام الله عليهم).

ورغم أن الألوهية هي الموضوع الأساس لعقيدة التوحيد فإن البحث في هذه المسألة لا ينفصل عن البحث في النبوة والإمامة، كونها الواسطة بين الخالق والمخلوق والأنبياء هم المكلفون بتلقي الوحي وإبلاغه للبشر وهم المصطفون الأخيار الذين اختارهم الله تبارك وتعالى وفضلهم على العالمين والطعن فيهم صراحة أو مواربة هو طعن

واعتراض على الإرادة الإلهية وهي الجريمة التي ارتكبها إبليس عندما قال (أنا خير منه)، أما الأئمة فهم العلماء وهم ورثة الأنبياء وهم المستحفظون على كتاب الله عز وجل والطعن فيهم يدخل كل حقائق الدين في إطار المتشابهات والاحتمالات التي لا يمكن الجزم بها ولا يمكن تلقيها أو قبولها بصيغة اليقين بما فيها توحيد الذات الإلهية ووصفها بما يليق وتنزيهها عما لا يليق بها.

الأنبياء عليهم السلام هم الواسطة بين الخالق والمخلوق وهم نقلة الوحي من جبريل عليه السلام الملك المكلف بنقل رسالة الله إلى أهل الأرض، والأئمة المعصومون من آل محمد هم الأمناء على حفظ هذا الوحي وشرحه وتفسيره للبشرية بأسرها ولولا وجودهم لما أمكن لأحد أن يدعي حفظ الوحي والشرع كاملا ولا تفسيره تفسيرا صحيحا صائبا منزّها عن الهوى والغرض والأمراض التي ابتليت بها هذه الأمة ومن سبقها من الأمم.

العصمة التي نثبتها للأئمة من آل محمد هي عصمة للدين نفسه من الزيغ والهوى ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ البقرة (٢١٣).

الآية الكريمة تتهم فريقا من المنتمين للدين وتحملهم المسئولية عن

حالة التشتت والفرقة التي أصابت الأمة لأنهم مارسوا البغي والعدوان باسم الدين على الدين وتحدد المخرج من هذه الكارثة الذي لن يكون إلا باتباع من هداهم الله للحق فيما اختلف فيه الناس وهؤلاء من وجهة نظرنا ثابتون ومحددون ولا يمكن إلا أن يكونوا أئمة أهل بيت العصمة والنبوة سلام الله عليهم.

الانتقاص من مكانة أئمة أهل البيت عليهم السلام وتنحيتهم عن موقع القيادة هو مفتاح كل شر دخلت إليه الأمة وعلى رأس هذه الشرور هو انحراف التصورات العقائدية والكذب على الله عز وجل وتجسيد الذات الإلهية، أعاذنا الله وإياكم من الكفر والشرك والضلال.

الوضع في العقيدة والوضع في الحديث

ارتضى المسلمون أو أغلبهم كما أسلفنا نهجا في فهم الدين يقوم أولا على استبعاد أئمة أهل البيت عليهم السلام وتجاهلهم (كأنهم لا يعلمون بهم) ثم التخبط يمينا وشمالا بحثا عن فهم هنا أو هناك يمكن أن يطرحه (المجوسي الثبت ابن الزناد) أو يطرحه أحد النكرات من ندامى الكأس الأموي ويعتمده أحد القتلة السفاحين المجرمين من حكام المسلمين ويفرضه على الناس بحد السيف فمن أقر به كان مؤمنا خالصا (بالإسلام الأموي) ومن تمرد عليه كان (كافرا بما أنزل الله) على معاوية بن أبي سفيان أو يزيد بن معاوية وأنزل به أليم العقاب وشديد العذاب.

لو قرأت كتب ما يسمى بالعقيدة لوجدت إصرارا من هؤلاء على

ما يسمونه إثبات ما في هذه الكتب من روايات من دون نظر ولا إعمال لعقل ولا إجالة لفكر ناهيك عن الرجوع للراسخين في العلم وهم كما ذكرنا أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم وتطهيرا.

أحمد ابن حنبل

أول من تصدى لطرح مفهوم عقائدي من الجمهور[1] هو أحمد بن حنبل فالرجل كان مشغولا بصراعه مع المعتزلة حول قضية هل القرآن قديم أم مخلوق وصراعه مع الشيعة حول تفضيل الخلفاء، أما ما عدا ذلك فهو لم يحاول أن يوسع باب الصراع والاقتتال بين المسلمين حول قضية الذات والصفات ولم يجترئ على ما اجترأ عليه من جاء من بعده مثل الأشعري والبيهقي وابن تيميه.

لا شك أن أفضل ما وُصف به المنهج الحنبلي في الاعتقاد هو ما قاله الشهرستاني في الملل والنحل من أنهم (سلكوا طريق السلامة ولم يتعرضوا للتأويل).

إنه المبدأ القائل (اسكت تسلم)، (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)!!.

سنرى كيف أن من جاء بعدهم مثل الأشعري والبيهقي ألقوا

---

(١) أول من قام بشرح المنهج العقائدي وتفصيله هو الإمام علي عليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله.

بأنفسهم إلى المهالك وليس منهم إلا من هو هالك، وعلى سبيل المثال فالله تبارك وتعالى يقول (إن الله كان سميعا بصيرا) ولم يقل سبحانه (سميعا بأذن ولا بصيرا بعين) – تعالى الله عما يقول هؤلاء علوا كبيرا إلا أن هؤلاء زادوا وفاضوا ولم يكتفوا بتفسير القرآن وفقا لأهوائهم واعتمادا للنصوص المنسوبة لرسول الله صلى الله عليه وآله مهما كانت درجة عوارها بل أضافوا إليها من عندهم فضلّوا وأضلوا وكانوا كما قال سبحانه ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ البقرة٧٩.

أن يأتي شخص بعد ذلك ليقول (سميعا بأذن) فهذه إضافة للنص القرآني فضلا عن كونها تأويل ولو كان صاحب هذا (الكلام التأويل) ملتزما بالنص وكفى لما تجرأ على هذه الإضافة التي فتحت واسعا أبواب التجسيد والوثنية ﴿**ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ المائدة (٣٠).

كان ابن حنبل رغم نصوصيته المفرطة التي لا تميز بين الصحيح والسقيم والتي تعتمد الروايات على علاتها وهو كان سابقا على عصر البخاري ومن جاء بعده من جامعي كتب الروايات، متحفظا وحريصا على ألا يتوسع في فتح باب التأويل النصوصي أي تأويل النص بإضافة نص من عنده، وليس التأويل المزاجي القائم على الآراء والأهواء كما فعل عتاة التجسيديين الذي ابتليت بهم هذه الأمة عندما فتحت الأبواب

على مصاريعها أمام طلاب المجد والشهرة.

يقول الشهرستاني في الملل والنحل: فأما أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل: مالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدوره.

وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا: من حرك يده عند قراءة قوله تعالى: "خلقت بيدي" أو أشار بإصبعيه عند روايته: قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن. وجب قطع يده وقلع إصبعيه.

وقالوا: إنما توقفنا في تفسير الآيات وتأويلها لأمرين: أحدهما: المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالى: "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب " فنحن نحترز عن الزيغ.

والثاني: أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول في صفات الباري بالظن غير جائز فربما أوّلنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا في الزيغ بل نقول كما قال الراسخون في العلم: كل من عند ربنا: آمنا بظاهره وصدقنا بباطنه ووكلنا علمه إلى الله تعالى ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك إذ ليس ذلك من شرائط الإيمان وأركانه.

واحتاط بعضهم أكثر احتياطا حتى لم يقرأ: اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك. بل إن احتاج في ذكرها إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ. فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه في شيء. انتهى النقل عن الملل والنحل.

التوحيد الأشعري

أبو الحسن الأشعري ٢٦٠-٣٢٤هـ

كانت ولا زالت معضلة (العقل الإسلامي) ووصفه الإسلامي هنا يتعلق بالنسب لا بالسبب، ناهيك عن التجاوز الماثل في وصفه بالعقل فالأمر محض أهواء وآراء و(استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير).

يتميز هذا (العقل) بقابليته العالية لتصديق الأساطير والأكاذيب والخرافات وتولهه وتعلقه بأبطال الوهم الكرتوني التي صنعتها أجهزة الدجل والدعاية الحكومية الأموية والآن أجهزة الدعاية السعودية الأمريكية التي تمطر الرؤوس الفارغة صباح مساء بذات النوع من نجوم الفكر والأدب والثقافة وهي نجوم مصنوعة من زَبد الكلام إذا طلع عليه الصبح لا يرى لها أثر ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾ الرعد (١٧).

العقل (الإسلامي) يمكنه أن يؤمن بعبقرية أبي الحسن الأشعري وقدرته الخارقة على حسم خلاف التصورات حول الذات والصفات وخلق أفعال العباد لا لشيء إلا لأنه حفيد واحد من الصحابة في حين يعجز ذات العقل عن تقبل فكرة أن يكون الإمام علي بن أبي طالب قد حسم هذه الأمور والمسائل منذ اللحظة الأولى، من دون انتظار لإطلالة الأشعري الصغير التي لم تنتظرها البشرية ولا سمعت عنها حتى أمر (صلاح الدين يوسف بن أيوب) بحمل الناس على هذا (المعتقد) بالحديد والنار.

تقلب الأشعري بين ثلاثة أحوال كما يقول ابن كثير من الاعتزال إلى إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الخبرية كالوجه والقدم والساق ونحو ذلك وأخيرا استقرت به رحلة التيه والتخبط إلى إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريًا على منوال السلف وهي طريقته في {الإبانة} التي صنفها أخيرًا.

أما إعلانه عن اكتشافاته العقائدية فجرى بطريقة دعائية كما يقول السبكي في طبقات الشافعية (أقام أبو الحسن على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إمامًا ثم غاب عن الناس في بيته والنقل عن ابن عساكر الدمشقي في كتابه (التبيين) ثم خرج إلى الجامع بالبصرة وصعد المنبر بعد صلاة الجمعة وقال (معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل

ولا باطل على حق (هذا هو إمام الأمة!!) فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به (تماما كما خلع جده إمامة إمام الحق علي بن أبي طالب!!! أي أنها قوانين الوراثة!!) ودفع الكتب إلى الناس فمنها كتاب (اللمع) وغيره من تواليفه، فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه إمامًا حتى نسب مذهبهم إليه.

قال إبراهيم بن علي المالكي في (الديباج): (كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزليًا ثم رجع إلى المذهب الحق مذهب أهل السنة فكثر التعجب منه وسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونصره، فكان ذلك والحمد لله تعالى).

قال المرتضى الحنفي في (اتحاف المتقين): أخذ أبو الحسن علم الكلام عن الشيخ أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ثم فارقه لمنام رآه ورجع عن الاعتزال وأظهر ذلك إظهارًا فصعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني.. أنا فلان ابن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى بالدار الآخرة بالأبصار وأن العباد يخلقون أفعالهم وها أنا تائب من الاعتزال معتقدًا الرد على المعتزلة ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم)، انتهى.

(استهديت الله فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من

جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس فاتخذوه إماماً....).

لا فارق بين الأشعري الكبير والصغير فهذا خلع إمام الحق علي بن أبي طالب وذاك خلع كتبه وثيابه وألقى بها إلى الناس... فاتخذوه إماما!!.

﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ الإسراء ٧١-٧٢.

هذه واحدة، أما الثانية فإنا أمام نموذج للدجل تكرر على مر العصور إلى يومنا هذا فها هو القرضاوي يعلن إعلانا مشابها: (لقد نذرت نفسي للدعوة إلى الله ولن أتخلى عن المهمة التي وكَّلني الله بها فأنا أعتبر نفسي موكلاً من الله تعالى ولن أنسحب من هذه المهمة أبداً)[١].

الله وكلني للدفاع عن هذا الدين ولن أتخلى عن هذا التوكيل والله هداني والله طلب مني وضع هذه العقيدة فمن يجرؤ على الاعتراض على وكيل الله أو على المهدي لوضع عقيدة الله؟!.

تقلب الأشعري –كما يقول ابن كثير- بين ثلاثة أحوال من الاعتزال إلى إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة

---

(١)
http://www.qaradawi.net/site/topics/index.asp?cu_no=٢&lng=٠&template_id=٢٤١&temp_type=٤٢

والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الخبرية كالوجه والقدم والساق ونحو ذلك وأخيرا استقرت به الرحلة إلى إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريًا على منوال (السلف) وهي طريقته في (الإبانة)!!.

من هؤلاء السلف؟!

لم يقل لنا ابن كثير من يكون هؤلاء السلف (الّذين جاءوا بعده) وفتحوا باب إثبات الصفات الزائدة عن الذات كابن تيميه والبيهقي أم أن (السلف) هم من كانوا قبله مثل أحمد ابن حنبل الّذي اتبع طريق السلامة تجنبا للعجلة والندامة؟!.

ثم أيّ أشعري يتبعون ١ أم ٢ أم أشعري٣ صاحب الإبانة؟!، نسأل الله للعقل السلامة!!.

الأشعري١ معتزلي والأشعري٢ يؤمن بسبع صفات عقلية زائدة عن الذات وهي منزلة بين المنزلتين وأمر بين الأمرين!!.

يقدم الأشعري٢ تصورا عن الذات الإلهية يكتفي بإضافة سبع صفات زائدة للذات الإلهية يمكن أن يكون كل منها إلها إضافيا.

يقول الأشعري والنقل عن الشهرستاني في (الملل والنحل): الباري تعالى: ١- عالم بعلم ٢- قادر بقدرة ٣- حي بحياة ٤- مريد بإرادة ٥- متكلم بكلام ٦- سميع بسمع ٧- بصير ببصر وله في البقاء اختلاف رأي. وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال: هي هو

ولا: هي غيره ولا: لا هو ولا: لا غيره.

ولك أن تلاحظ أن ليس كل هذه الصفات صفات معنوية مثل العلم والحياة لأن صفة الكلام هي صفة مادية حيث يحرك الإنسان عضلات الصوت من لسان وحنجرة ليتمكن من الكلام وكذا صفة السمع.

بين الأشاعرة والنصارى

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

ويقول سبحانه ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[2].

---

(١) المائدة ٧٢- ٧٣.

(٢) النساء ١٧١.

يتصور البعض أن النصارى يعتقدون بآلهة ثلاث في حين أن ورطتهم لا تختلف عن الورطة الّتي ذهب إليها التجسيديون بأقدامهم.

إنها الورطة المتمثلة في إثبات صفات زائدة على الذات الإلهية وهي صفة روح القدس أو الكلمة على صورة تجسيدية فكان أن تحولت (الكلمة) إلى إله أو مسيح يمشي على الأرض ويصلب فداء للبشر.

لذا نلاحظ أن الآيات السابقة لا تتحدث عن ثلاثة آلهة بل ترد على ما ادعاه التثليثيون النصارى (كما سنرى بعد قليل) من إثبات ذات موصوفة بصفات ثلاث كلها زائدة عن الذات!!.

تبدو آية سورة النساء واضحة (لا تقولوا ثلاثة) ولم يقل عزّ من قائل لا تقولوا ثلاثة آلهة لأنهم لا يقولون بثلاثة آلهة بل بإله واحد يمكن له أن ينقسم إلى ثلاثة أجزاء ويمكن له أن يعاود الالتحام ويمكن له أن يتجسد مسيحا ينزل إلى الأرض ويمشي على قدمين ويكلم الناس في المهد وأخيرا يصلب على الصليب فداء لخطايا البشر!!.

الصفات الزائدة على الذات لدى النصارى

يقول كاتب مسيحي هو (اسكندر جديد): ليست الأقانيم الثلاثة في الله ذوات قائمة بأنفسها إنما هي ذوات قائمة في جوهر الله الفرد. والتثليث المسيحي هو كما وصفه الرازي: أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاث.

والمسيحيون يسمون هذه الصفات الإلهية الثلاث: الأبوة والبنوّة والروحانية في الله أقانيم لتمييزها عن سائر صفات الله. فتلك الأقانيم

الثلاثة هي صفات ذاتية كيانية لا محض صفاتية وهي قائمة في الجوهر الإلهي الفرد. لذلك نردّ على الرازي قوله: فأما إن حملنا الثلاثة ويجب أن نحملها على أنهم يثبتون صفات ثلاث فهذا لا يمكن إنكاره... فلو كان القول بتعدد الصفات كفرا لزم رد جميع القرآن ولزم رد العقل.

فالمسيحيون يثبتون في الله ذاتاً موصوفة بصفات ذاتية كيانية ثلاث، يسمّونها الأب والكلمة والروح. هذا هو التثليث المسيحي الصحيح الّذي لمحه الرازي وابتعد عنه لعقدة في نفسه.

وهذا ما يثبته المسيحيون من صفات ذاتية أو صفات كيانية في الله. فمن أنكرها لزمه ردّ القرآن، ولزمه رد العقل، لأن هذا التثليث الصحيح من صميم التوحيد.

٤ تفسير الغزالي: وهو ينصف المسيحيّة في عقيدتها التثليثية. قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في كتابه الرد الجميل ص ٤٣ يحلّل التثليث المسيحي: يعتقدون أن ذات الباري واحدة. ولها اعتبارات:

١ - فإن اعتُبرت مقيَّدة بصفة لا يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها كالوجود فذلك المسمَّى عندهم بأقنوم الآب. وإن اعتُبرت موصوفة بصفة يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها كالعلم فإن الذات يتوقف اتّصافها بالعِلم على اتّصافها بالوجود فذلك المسمَّى عندهم بأقنوم الابن أو الكلمة. وإن اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها فذلك المسمَّى عندهم بأقنوم روح القدس.

فيقوم إذن من الأب معنى الوجود ومن الكلمة أو الابن معنى العلم،

ومن روح القدس كون ذات الباري معقولة له. هذا حاصل هذا الاصطلاح فتكون ذات الإله واحدة في الموضوع موصوفة بكل أقنوم من هذه الأقانيم.

٢ – ومنهم من يقول : إن الذات إن اعتُبرت من حيث هي ذات لا باعتبار صفة البتة فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن العقل المجرد وهو المسمَّى عندهم بأقنوم الأب. وإن اعتُبرت من حيث هي عاقلة لذاتها فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى العاقل وهو المسمى بأقنوم الابن أو الكلمة. وإن اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى المعقول وهو المسمى بأقنوم روح القدس.

فعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط والأب مرادفاً له والعاقل عبارة عن ذاته بقيد كونها عاقلة لذاتها والابن أو الكلمة مرادف له والمعقول عن الإله عبارة عن الإله الّذي ذاته معقولة له وروح القدس مرادف له.

هذا اعتقادهم في الأقانيم : وإذا صحَّت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ ولا في اصطلاح المتكلمين .

ويعلّق الكاتب الحكيم على أقوال الغزالي فيقول: الغزالي يشهد للمسيحيين بالتوحيد. ويشهد لهم بصحة اصطلاحهم في تفسير التثليث في التوحيد بناءً على الاعتبارين اللذين ساقهما عنهم: الأول على اعتبار الأقانيم في الله صفات ذاتية أي في الذات الإلهية الواحدة والثاني على اعتبار الأقانيم في الله أفعالاً ذاتية في الذات الإلهية الواحدة.

والقول الصحيح الّذي يجمع الأفعال الذاتية والصفات الذاتية في الله

الواحد الأحد كونها صفات كيانية بين الله الأب وكلمته وروحه في الجـوهر الإلهي الفرد.

وقد أنصف الغزالي التثليث المسيحي في هذا الحكم: إذا صحت المعاني فلا مـشاحة في الألفـاظ أولا في اصـطلاح المتكلمـين. والمعـاني قـد صـحَّت بحسب التنزيل الإنجيلي والكلام المسيحي الّذي يفصّله.

ثم يقول تحت عنوان (مطابقة الأشعرية للمسيحيّة):

الأشعرية هي مذهب أهل الـسنّة والجماعـة في الإسـلام. ومقالتهـا في مشكل الذات والصفات في الله هي أصحّ تعبـير لحقيقـة الأقـانيم الثلاثـة في الله.

كانت الصفاتية تقول: صفات الله هي غـير ذاتـه ممـا يقـود إلى القـول بقديمين. فجاءت المعتزلة تقـول: صـفات الله هـي عـين ذاتـه ممـا يقـود إلى التعطيل في الله. وقامت الأشعرية تقول بمنزلة بين المنزلتين: الـصفات في الله ليست هي عين الذات ولا هي غيرها إنما هي في منزلة بين المنزلتين . وكيـف يكون ذلك؟ هذا سر الله في ذاته. وَمَا أُوتِيتُمْ مِـنَ الْعِلْـمِ إِلّا قَلِـيلاً - الإسراء ١٧ :٨٥.

والتعبيرالأشعري وهو قول الإسلام في الذات والصفات أصحّ تعبـير للتثليث المسيحي: إن الأقانيم الثلاثة في الله الواحد الأحد صفات ذاتيـة بـل صفات كيانية ليست هي عين الذات ولا هي غيرها إنـما هـي في منزلـة بـين المنزلتين.

وإذا قيل : كيف يكون ذلك؟ أُجيب بما قاله الإمـام مالـك في الـرَّحْمَنُ

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (طه ٢٠ :٥). قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة .

فإذا كان السؤال عن تعبير قرآني مجازي بدعة فكم بالحري السؤال عن صفات الله الأقنومية في ذاته؟ لذلك يكفر من يحوّل الكلام في الذات والأقانيم إلى عملية حسابية فيقول: كيف يكون الواحد ثلاثة؟ كلا ليس الواحد ثلاثة على اعتبار واحد وعلى صعيد واحد إنما الله واحد في ذاته مثلث في صفاته أو صفاته الذاتية أي أقانيمه الثلاثة. وليس في هذا ما يتعارض مع النقل الكريم ولا مع العقل السليم.

هذا هو التثليث الصحيح في التوحيد الخالص. وهذا التثليث الإنجيلي في التوحيد الكتابي ليس بالتثليث المنحرف الكافر الّذي يكفّره القرآن بمقالته في الثلاثة وصيغها الأربعة وقد كفرتها المسيحيّة من قبله.

لذلك فتكفير التثليث المسيحي باسم التوحيد القرآني هو افتراء على التوحيد وعلى القرآن وجهل بالإنجيل والعقيدة المسيحيّة.

إن التثليث المسيحي في التوحيد الخالص هو تفسير مُنزَل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية فلا خلاف على الإطلاق بين التوحيد القرآني والتثليث الإنجيلي في التوحيد الكتابي المتواتر في التوراة والإنجيل والقرآن[1].

---

(١) اسكندر جديد. وحدانية الثالوث في المسيحية والإسلام.
http://www.alkalema.net/trinty/trinty٣.htm

ولنا على ما قاله الكاتب المسيحي تعليق:

هل حقا يمكن لنا أن نقبل ما ادعاه الأشعري من أن الصفات الزائدة عن الذات (كالأقانيم الثلاثة في الله الواحد الأحد) هي صفات ذاتية بل صفات كيانية ليست هي عين الذات ولا هي غيرها بل هي في منزلة بين المنزلتين؟!

إنه المنطق الّذي ورثه أبو الحسن الأشعري عن جده أبي موسى الأشعري، منطق (لا مساس) فلا هو هو ولا غيره!.

مرة أخرى نعيد القول:

إن الصفات الّتي وصف بها ربنا عز وجل نفسه في القرآن وهي صفات الجمال والكمال هي عين الذات، وهو ما بيّنه الشيخ المظفر رضوان الله عليه في كتاب عقائد الإمامية. وبالتالي فصفة الروح (ونفخت فيه من روحي) هي من صفات الذات الإلهية المتفردة بالكمال ولا يقبل ولا يمكن أن يقال إنها ليست عين الذات ولو لم تكن عين الذات فهي غيرها، مهما زعم الأشعري أو غير الأشعري ومن ثم فهي ليست منزلة بين المنزلتين.

دعك أيضا من خدعة الصبي عن ثدي أمه الّتي احترفها القوم من خلال وضع ما يسمونه (بالتعطيل) في مقابل التشبيه.

التعطيل عندهم هو نفي الصفات الزائدة عن الذات خاصة إن كانت صفات جسدية مثل اليد والرجل والساق وغيرها من الخزعبلات الّتي أضافها إلى الله محرفوا الكلم عن مواضعه ممن فسروا القرآن بجهلهم وليس حتى بآرائهم.

عندما يقول سبحانه (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) فليس هنا صفات لا زائدة ولا هي عين الذات بل الأمر كله مجرد تركيب لغوي جاء به القرآن من أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وقال له كن فيكون، وكذا الآيات الّتي تعلق بها مرضى النفوس الّذين أرادوا أن يثبتوا للخالق سبحانه ساقا (يوم يكشف عن ساق) والسياق أيضا لا يزيد عن كونه وصفا وتعبيرا عن هول يوم القيامة والشدة الكبرى الّتي سيمر بها كل خلق الله عز وجل **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾** الحج١-٢.

إنهم جماعة الوُضاع أهل الوَضَاعَة والانحطاط الّذين لم يستنكفوا من اختراع روايات زنا القردة والحجر الّذي أخذ ثياب موسى عليه السلام وولى هاربا وتركه عاريا مكشوف العورة وغيرها من الفضائح الّتي تثبت للدنيا أن الوضاعة والانحطاط هي أصل هؤلاء الوضاعين.

دعك أيضا مما يقوله الكاتب المسيحي من أن الأقانيم الثلاث هي (صفات ذاتية كيانية ثلاث هي الآب والكلمة والروح وأن من أنكرها **لزمه ردّ القرآن، ولزمه رد العقل ومن ثم فالتثليث الصحيح هو من صميم التوحيد).**

لا شك أن استعانة النصارى بالنظرية الأشعرية لتفسير وتبرير عقيدة التثليث تثبت (أن ما فيش حد أحسن من حد) وأن أتباع الديانات السماوية الثلاث كلهم في الهم شرق وأن اختلالات البنية

العقيدية لدى هؤلاء وهؤلاء ترجع إلى أصل ومنبع واحد وهو أيضا مصداق للنبوءة القرآنية ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**﴾ الانشقاق١٦-١٩، شبرا بشبر وذراعا بذراع.

الأشعري٣

آمن الأشعري في طوره الثاني بسبع صفات زائدة عن الذات (فقط لا غير) في حين آمن النصارى بصفة واحدة زائدة عن الذات قادت إلى عقيدة التثليث وتفسير الأمر سهل للغاية.

الأشعري يقول إن الله حيٌ بحياة!!!!

وكذا الإنسان حي بحياة... فإذا مات الإنسان فارقته الحياة وأصبح هو ذاته بعد أن فقد أهم صفاته الزائدة عن الذات جثة بين يدي الأحياء يغسلونه ويكفنونه ويصلون عليه ويضعونه في القبر!!.

الأشعري يقول الله بصير ببصر!!.

وكذا الإنسان بصير ببصر والأعمى أو المكفوف هو إنسان طبيعي يأكل ويشرب ويتزوج ويقرأ ويفكر ويقدم أعمالا فكرية وتاريخية رائعة من أمثال الدكتور طه حسين!!.

هذا هو المعنى الحرفي لكون الصفة زائدة عن الذات فالإنسان حي بحياة، بصير ببصر، عالم بعلم، قادر بقدرة. والحياة أهم هذه الصفات أي الروح الّتي يمكن لها أن تفارق الجسد مناما أو موتا ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى**

عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر ٤٢.

الصفة إذاً غير الموصوف والكارثة هنا تتعلق بها بعد إثبات إلحاق الصفة فعندما يتعلق الأمر بالمخلوق تذهب الصفة وتنسلخ عن الموصوف لكنها لا تتجسد إنسانا ولا إلها، لكنها في التصور النصراني تجسدت إلها أو ابنا للإله هو المسيح عيسى بن مريم كما أثبت القرآن أما من وجهة نظر النصارى فهو المسيح ابن الله..

الكلمة الإلهية (صفة واحدة زائدة عن الذات) تجسدت إلها نزل إلى الأرض وصلبت فداء للبشر!!.

صفة واحدة زائدة عن الذات قادت إلى التثليث فما بالك بمن أثبت سبع صفات زائدة عن الذات، فكم يمكن أن يبلغ عدد الآلهة في معتقدهم؟! طبعا كل هذا قبل أن يفتح الأشعري٣ الباب واسعا لإثبات تعدد الصفات بلا قيد ولا شرط.........

وهكذا

يقول الأشعري٣ منددا بخصومه:

وخالفوا روايات الصحابة عن نبي الله صلى الله عليه وسلم في رؤية الله عز وجل بالأبصار وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت بها الآثار وتتابعت بها وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين ودفعوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين وجحدوا عذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون ودانوا

بخلق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين الّذين قالوا : (إنْ هذا إلّا قولُ البشر)، وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر نظيرا لقول المجوس الّذين أثبتوا خالقين أحدهما الخير والآخر يخلق الشر وزعمت القدرية أن الله تعالى يخلق الخير والشيطان يخلق الشر وزعموا أن الله تعالى يشاء ما لا يكون ويكون مالا يشاء خلافا لما أجمع عليه المسلمون، (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) وردا لقول الله تعالى فأخبر تعالى أنا لا نشاء شيئا إلا وقد شاء الله أن نشاءه ولقوله (ولو شاء الله ما اقتتلوا) ولقوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها).

وأنكروا أن يكون له قوة مع قوله سبحانه (ذو القوة المتين).

وأنكروا أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا....

هذا هو الأشعري الّذي يراه البعض رمزا من رموز الوسطية والاعتدال والّذي لا يختلف في رأينا عمن جاءوا بعده مثل ابن تيميه حيث بقي باب الوضع العقائدي مكملا لباب الوضع والكذب على الله ورسوله سواء عبر التأويل المنحرف لكلام الله وصرفه عن مواضعه أو إضافة أبواب وعناين في موضوع التوحيد ما أنزل الله بها من سلطان وما لهم بها من علم **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾** النجم (٢٣).

كيف تسلل التجسيد إلى العقيدة الإسلامية؟!

يروي مسلم في (صحيحه):

١٩ - (٢٧٨٦) حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس. حدثنا فضيل (يعني ابن عياض) عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدالله السلماني، عن عبدالله بن مسعود قال: جاء حبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! أو يا أبا القاسم! إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك. أنا الملك. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر، تصديقا له. ثم قرأ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [٣٩ / الزمر / ٦٧].

٢٠ - (٢٧٨٦) حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم. كلاهما عن جرير، عن منصور، بهذا الإسناد، قال: جاء حبر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. بمثل حديث فضيل. ولم يذكر: ثم يهزهن، وقال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا لما قال تصديقا له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وما قدروا الله حق قدره" وتلا الآية.

٢١ - (٢٧٨٦) حدثنا عمر بن حفص بن غياث. حدثنا أبي. حدثنا الأعمش قال: سمعت إبراهيم يقول: سمعت علقمة يقول: قال عبدالله: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا

القاسم! إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك أنا الملك. قال فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ: وما قدروا الله حق قدره.

٢٢ - (٢٧٨٦) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة و أبو كريب قالا: حدثنا أبو معاوية ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم وعلي بن خشرم قالا: أخبرنا عيسى بن يونس ح وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير كلهم عن الأعمش، بهذا الإسناد غير أن في حديثهم جميعا: والشجر على إصبع. والثرى على إصبع وليس في حديث جرير: والخلائق على إصبع ولكن في حديثه: والجبال على إصبع وزاد في حديث جرير: تصديقا له تعجبا لما قال.

٢٣ - (٢٧٨٧) حدثني حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب حدثني ابن المسيب؛ أن أبا هريرة كان يقول: قال رسول الله ﷺ "يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟".

٢٤ - (٢٧٨٨) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة، عن سالم بن عبدالله أخبرني عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟".

٢٥ - (٢٧٨٨) حدثنا سعيد بن منصور حدثنا يعقوب (يعني ابن عبدالرحمن) حدثني أبو حازم عن عبيدالله بن مقسم؛ أنه نظر إلى عبدالله بن عمر كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وآله قال "يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه فيقول: أنا الله (ويقبض أصابعه ويبسطها) أنا الملك" حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وآله؟.

من الواضح أن الرواية المنقولة عن مسلم بن الحجاج تشير أولا إلى خمس أصابع لله عز وجل (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا)، كما أنها تتحدث بوضوح عن يمين وشمال ولم يبق والعياذ بالله من شر الضلال والمضلين إلا أن تتحدث عن أظافر ووو!!.

فلو قبلنا بصحة الرواية ونحن نرفضها سندا ومتنا لجاز لنا أن نصدق بصحة المنطق التجسيدي الّذي يساوي بين الخالق والمخلوق ويجعل الخالق شبيها لخلقه في حين حكم القرآن الكريم حكمه القاطع الساطع: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

رواية ثانية نرويها على سبيل النموذج والمثال لا على سبيل الحصر هي رواية (الساق) ومرة أخرى نقول: تعالى الله عما يقول الواصفون والناعتون علوا كبيرا!!، والرواية هنا للبخاري.

٣٩٤ - باب: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ / ٤٢/.

٤٦٣٥ - حدثنا آدم: حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رضي

الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا).

لاحظ أن الراوي يا سادة يا كرام يقول (يكشف ربنا عن ساقه)، والمعنى واضح لا يحتاج إلى تفسير ولا إلى تأويل.

لا عجب إذاً أن ينطلق السطحيون العاجزون عن التمييز بين الحق والباطل والغث والسمين مستفيدين من هذه الروايات المكذوبة من الأساس ليؤسسوا عقيدة زائغة ضالة مضلة يصبح فيها الخالق عز وعلا مشابها لخلقه في تركيبهم وصفاتهم ويصبح قصارى جهد هؤلاء البائسين المساكين أن يقولوا: ساق ولكنها ليست ساق البشر، أصابع لكنها ليست كأصابع البشر، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!.

هكذا انطلق هؤلاء النصوصيون الحرفيون الّذين لا يرون سوى شكل الكلمة والحرف ولا يميزون بين الصحيح والسقيم ولا يأخذون العلم من نبعه الأصيل يترجمون كل ما ورد في قراطيسهم من كلمات وحروف لا يعرف من أين جاءت ولا أين ستذهب بهم إلى صفات إلهية زائدة عن الذات. والموقف كله يلخصه ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة قال: (حكى عن داود الجواربي[1] أنه قال: اعفوني من الفرج واللحية وسلوني عما وراء ذلك. وحكى عنه أيضا: هو أجوف من فيه إلى

(١) حكاه الشهرستاني في الملل والنحل.

صدره، وما سوى ذلك مصمت. وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى: (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)، فقال: يقعد معه على سريره ويغلفه بيده. وقال بعضهم: سألت معاذا العنبري، فقلت: أله وجه؟ فقال: نعم، حتى عددت جميع الاعضاء من أنف وفم وصدر وبطن، واستحييت أن أذكر الفرج، فأومأت بيدى إلى فرجى، فقال: نعم، فقلت أذكر أم أنثى؟ فقال: ذكر. ويقال: إن ابن خزيمة أشكل عليه القول: أذكر أم أنثى، فقال له بعض أصحابه: إن هذا مذكور في القرآن، وهو قوله تعالى: (وليس الذكر كالانثى)، فقال: أفدت وأجدت، وأودعه كتابه. ودخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد، وبين يديه لحم في طبيخ سكباج، فسأله عن البارئ تعالى في جملة ما سأله، فقال: هو والله مثل هذا الذى بين يدي لحم دم وشهد بعض المعتزلة عند معاذ بن معاذ، فقال له: لقد هممت أن أسقطك، لولا أنى سمعتك تلعن حماد بن سلمة، فقال: أما حماد فلم ألعنه، ولكني ألعن من يقول: إنه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السماء إلى الارض على جمل أحمر في هودج من ذهب، فإن كان حماد يروى هذا أو يقوله فعليه لعنة الله. فقال: أخرجوه، فأخرج.

وقال بعضهم: خرجنا يوم عيد إلى المصلى، فإذا جماعة بين يدي أمير، والطبول تضرب والاعلام تخفق فقال واحد من خلفنا: اللهم لا طبل إلا طبلك! فقيل له: لا تقل هكذا، فليس لله تعالى طبل، فبكى، وقال: أرأيتم هو يجيء وحده ولا يضرب بين يديه طبل ولا ينصب على رأسه علم، فإذن هو دون الأمير!!

وروى بعضهم أنه سبحانه وتعالى أجرى خيلا، فخلق نفسه من مثلها. وروى قوم منهم أنه نظر في المرآة فرأى صورة نفسه، فخلق آدم عليها. ورووا أنه يضحك حتى تبدو نواجذه[1].

ورووا أنه أمرد جعد قطط، في رجليه نعلان من ذهب، وأنه في روضة خضراء على كرسى تحمله الملائكة. ورووا أنه يضع رجلا على رجل، ويستلقى فإنها جلسة الرب. ورووا أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة، وأنه يتصور بصورة آدم، ويحاسب الناس في القيامة، وله حجاب من الملائكة يحجبونه. ورووا عن النبي ﷺ أنه قال: (رأيت ربي في أحسن صورة، فسألته عما يختلف فيه الملأ الأعلى، فوضع يده بين كتفي، فوجدت بردها، فعلمت ما اختلفوا فيه). ورووا أنه ينزل إلى السماء الدنيا في نصف شعبان، وأنه جالس على العرش قد فضل منه أربع أصابع من كل جانب[2].

وأنه يأتي الناس يوم القيامة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون[3]: نعوذ بالله منك، فيقول لهم: أفتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: بيننا وبينه علامة، فيكشف لهم عن ساقه، وقد تحول في الصورة التى يعرفونها، فيخرون له سجدا. ورووا أنه يأتي في غمام، فوقه هواء، وتحته هواء.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص٢٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص٢٢٦.

(٣) البخاري رواية رقم ٧٠٠١.

وكان بطبرستان قاص من المشبهة، يقص على الناس، فقال يوما: تجيء فاطمة بنت محمد يوم القيامة معها قميص الحسين ابنها تلتمس القصاص من يزيد بن معاوية، فإذا رآها الله تعالى من بعيد، دعا يزيد وهو بين يديه، فقال له: ادخل تحت قوائم العرش، لا تظفر بك فاطمة، فيدخل ويختبئ، وتحضر فاطمة، فتتظلم وتبكي، فيقول سبحانه: انظري يا فاطمة إلى قدمي، ويخرجها إليها، وبه جرح من سهم نمرود، فيقول: هذا جرح نمرود في قدمي، وقد عفوت عنه، أفلا تعفين أنت عن يزيد! فتقول: اشهد يا رب أني قد عفوت عنه.

وذهب بعض متكلمي المجسمة إلى أن البارئ تعالى مركب من أعضاء على حروف المعجم. وقال بعضهم: إنه ينزل على حمار في صورة غلام أمرد، في رجليه نعلان من ذهب، وعلى وجهه فراش من ذهب يتطاير. وقال بعضهم: إنه في صورة غلام أمرد صبيح الوجه، عليه كساء أسود، ملتحف به. وسمعت أنا في عصري هذا من قال في قوله تعالى: (وترى الملائكة حافين من حول العرش): إنهم قيام على رأسه بسيوفهم وأسلحتهم، فقال له آخر على سبيل التهكم به: يحرسونه من المعتزلة أن يفتكوا به! فغضب وقال: هذا إلحاد. ورووا أن النار تزفر وتتغيظ تغيظا شديدا، فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها، فتقول: قط قط، أي حسبي حسبي. ويرفعون هذا الخبر مسندا. وقد ذكر شبيه به في الصحاح[1].

---

(١) البخاري رواية رقم ٤٥٦٩.

وروى في الكتب الصحاح أيضا: (أن الله خلق آدم على صورته)[١] وقيل: إن في التوراة نحو ذلك في السفر الأول[٢]. انتهى النقل.

أسطورة هزلية عن (اختباء يزيد تحت قوائم العرش) تكشف عن هزال تلك العقول الّتي تصدرت لقيادة الساحة الفكرية والعقائدية والّتي تبحث عن مخرج من الورطة المتمثلة في جريمة اغتيال مولانا الإمام الحسين بن علي عليه السلام على تلك الصورة البشعة الّتي قصها علينا التاريخ، ليخرج المتلقون والسميعة بنتيجة مفادها أن ما جرى لا يعدو كونه نزاعا على الأسعار في سوق التجارة بالدين انتهى بعدد من الضحايا وأن القتلة والمجرمين سيختبئون تحت قوائم العرش وأن الرحمة الإلهية ستطالهم وأنه سبحانه وتعالى سيقوم بالتوفيق بين هؤلاء وهؤلاء لتنتهي المسرحية بنهاية سعيدة يرضى بها جمهور الفريقين الأبيض والأحمر!!

أما عن الدور اليهودي في صياغة تلك الترهات فيبدو واضحا

---

(١) صحيح مسلم: (٢٦١٢) حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثني أبي حدثنا المثنى ح وحدثني محمد بن حاتم حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن المثنى بن سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حديث ابن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله قال "إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتجنب الوجه. فإن الله خلق آدم على صورته".

(٢) ٢٧ :١فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا و انثى خلقهم. سفر التكوين.

حيث لا يتحرج الراوي يا سادة يا كرام من التنويه بأن الحبر اليهودي قام بتفسير الآية الكريمة (والأرض جميعا قبضته) لرسولنا الأكرم محمداً صلى الله عليه وآله وأن رسولنا ص تلقى التفسير اليهودي بالبشر وأنه صلى الله عليه وآله (ضحك حتى بدت نواجذه) أو كما قال الراوي!!

أما التجسيديات الّتي غصت بها (كتبنا) بل و(ثقافتنا) عن خلق حواء من ضلع آدم وأسطورة الضلع الناقص وأن حواء هي سبب غواية آدم عليه السلام وخروجهما من الجنة فهي مطابقة لما ورد في التوراة ولنأخذ واحدة منها على سبيل المثال:

(٩ فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت، ١٠ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، ١١ فقال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة الّتي أوصيتك أن لا تأكل منها، ١٢: فقال آدم المرأة الّتي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت)[1].

(١) العهد القديم الأصحاح الثالث ٩-١٢.

الأشعري ومسئولية العباد عن أفعالهم

الجبر والإرجاء

كـان الجبـابرة ولا يزالـون بحاجـة إلى تبريـر دينـي لجـرائمهم وانتهاكاتهم لآدمية البشر ولفحشهم وظلمهم فضلا عن تبريد أعـصاب زبانيتهم والحيلولة دون انسلاخهم من منظومة القمع المتأله الّـذي طالما سلطوها على المستضعفين في كل زمان ومكان.

لا يتم سلطان هؤلاء ولا جبروتهم ولا تألههم إلا بترسيخ (معتقد) يقوم على ركيزتين لا يستغني عنهما أي طاغوت متأله من لدن معاوية بن أبي سفيان وصولا لحسني المخلوع.

الركيزة الأولى: أن ما يرتكبه هـؤلاء الطواغيـت مـن جـرائم قتـل وسلب ونهب وترويع وتعذيب إنما هي أفعال أجراها الله على يد هـؤلاء وأن الفاعل الحقيقي هو الله (تعالى الله وتنزه عما يقولون علوا كبيرا).

الركيزة الثانية: أن لا فائدة ولا جدوى للنهوض في مواجهة الظلم فما جرى ويجري من جرائم وارتكابات هو قضاء وقدر وهـو بـإرادة الله عز وجل (نعوذ بالله من هذا القول) وكل ما هـو مطلـوب مـن عبـاد الله الصالحين هو رفع الأكف لله بالدعاء راجين منه سبحانه أن يغـير مـسار القدر إلى حيث يرغبون ويتمنون بعيدا عما يكرهون!!.

تحدث شيوخ (الكلام) ولا شيء غير الكلام الفارغ في كتبهم عما أسموه بالكسب دون أن يقدموا لنا تعريفا علميا محددا لهذا المصطلح ومدى علاقته (بالكسب غير المشروع) الّذي مارسه زبانية الحكم منذ كان هناك ما يسمى بالحكم!!.

الكسب حسب الراغب الأصفهاني صاحب مفردات القرآن: هو ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظ، ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرة. والكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره، ولهذا قد يتعدى إلى مفعولين، فيقال: كسبت فلانا كذا، والاكتساب لا يقال إلا فيما استفدته لنفسك، فكل اكتساب كسب، وليس كل كسب اكتسابا.

الكسب هو ما يقع بين يديك، بذلت فيه جهدا أم لم تبذل أما الاكتساب فهو كسب مشروط ببذل الجهد.

الاكتساب هو سعي للوصول لنتائج بعينها، أما الكسب فهو حصول على هذه النتائج سعى إليها الإنسان أم لم يسع!!

الكسب نتيجة الاكتساب هو ثمرة السعي ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى**﴾ النجم ٣٩-٤١، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ النور (١١).

التمييز العقائدي بين الكسب والاكتساب هو دجل وغش

وخداع، فالإنسان عالم وعارف بنتائج سعيه وعمله ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ النجم ٣٩-٤١، وشتان بين كبار المجرمين الّذين يخططون ويدبرون لتحصيل نتائج بعينها وأفراد مغمورين يحملون السلاح ويطلقون الرصاص إنفاذا لأوامر هؤلاء الطواغيت من دون حتى أن يعرفوا أسماء ضحاياهم كما هو الحال في كل زمان ومكان ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام (١٢٣).

لو تأملنا في أصل المسألة لاكتشفنا أن المكان الملائم للجدل حول (الكسب) هو علم الاجتماع والتاريخ والمحاكم الجنائية، وأن حشر المسألة ضمن علوم العقيدة والكلام لا تعدو كونها محاولة للتخلص من مسئولية العباد عن أفعالهم تضييعا للمسئولية وبدلا من دراسة الكوارث الكبرى الّتي ارتكبت في حق الأمة وتوزيع المسؤولية على مرتكبيها بالعدل والقسطاس المستقيم.

أحيلت القضية برمتها لقسم (العقيدة والفلسفة) ليحصل المجرمون نهاية الأمر على وسام (العقيدة الصحيحة) وقرارا بالعفو النهائي عن أكابر مجرميها من محكمة الوهم الإنساني والزيف البشري الكبير ولا بأس أن تبقى الأمة في ضلال إلى يوم يبعثون.

دار الجدل حول (الكسب) بين المعتزلة الّذين يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الإبداع والإحداث استقلالاً: جبرياً، وبين من

أطلق عليهم صفة (الجبرية) الّذين ينفون الفعل حقيقة عن العبد ويضيفونه إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: جبرية خالصة: لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً وجبرية متوسطة: تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً فأما من أثبت للقدرة أثراً ما في الفعل وسمى ذلك كسباً فليس بجبري. والكلام للشهرستاني في الملل والنحل.

يدخل صاحبنا الأشعري إذا ضمن جماعة (الجبرية المتوسطة) - التابعة ربما للحزب الأبيض المتوسط!!- الّذين (يثبتون للقدرة أثرا ما في الفعل ويسمون ذلك كسبا وبذلك أخرجوا أنفسهم من دائرة القول بالجبر المطلق) مقابل من يعتقدون بمسئولية الإنسان الكاملة عن أفعاله وارتكاباته!!

نلاحظ هنا، أن لا تعريفات محددة ولا حتى لغوية لبعض المصطلحات الّتي يدرجونها في مانيفستوهاتهم العقائدية والّتي يفترض أن إثباتها أو إنكارها يخرجك من دائرة العقيدة السليمة ويسوقك إما إلى الجنة أو النار ﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾(1)!!.

الملاحظة الثانية: هي أننا نخوض معركة أو مقتلة على جبهتين: الأولى جبهة المفاهيم والتعريفات وهي معركة جوهرية وهامة ولا يمكن

---

(1) البقرة ١١١-١١٢.

التقدم إلى الأمام ما لم يجر تحديد المصطلحات والمفاهيم وتثبيتها وإلا أصبح الحوار حوار طرشان أو حوار بين فريقين يستخدمان لغتين مختلفتين ليس بينهما ترجمان.

والجبهة الثانية: تتعلق بتلك المواجهة مع أصحاب أسماء طنانة رنانة اكتسبت أهميتها وقيمتها بالتقادم ومرور الزمن رغم التحذير الإلهي من الوقوع في هذه الحفرة المهلكة ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ الحديد (١٦).

الجبر كما يقول الشهرستاني في الملل والنحل: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب.

إن أفضل ما يبين معنى الجبر ما قاله شاعر أهل البيت عليهم السلام ابن حماد العبدي:

وإنا اعتقدنا العدل في الله مذهبا ... ولله نزهنا وإياه وحدنا

وهم شبهوا الله العلي بخلقه ... فقالوا: خلقنا للمعاصي وأجبرنا

فلو شاء لم نكفر ولو شاء أكفرنا ... ولو شاء لم نؤمن ولو شاء آمنا

وينقل الشهرستاني عن أبي الحسن الأشعري قوله بأن لا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث لأن جهة الحدوث قضية واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الجوهر والعرض فلو أثرت في قضية الحدوث لأثرت في

حدوث كل محدث حتى تصلح لإحداث: الألوان والطعوم والروائح وتصلح لإحداث الجواهر والأجسام فيؤدي إلى تجويز وقوع السماء على الأرض بالقدرة الحادثة غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها: الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له ويسمى هذا الفعل كسباً فيكون خلقاً من الله تعالى: اتّباعاً وإحداثا وكسبا من العبد: حصولاً تحت قدرته.

لا تأثير إذا لقدرة الإنسان الحادثة من وجهة نظر الأشعري في الإحداث فأفعال العباد مخلوقة من الله وتسمى إتباعا وإحداثا أما العباد فعلاقتهم بها تسمى كسبا أو حصولا تحت قدرة العبد.

قضية الجبر والاختيار ومسئولية الإنسان الكاملة عن أفعاله هي من القضايا بالغة الأهمية في التصور الإسلامي ليس فقط على المستوى الشخصي بل على المستوى السياسي والاجتماعي.

القول بالجبر وخلق أفعال العباد كان الغطاء الّذي تستر خلفه كل مجرمي التاريخ الإسلامي ومنحوا من خلاله لمعاونيهم في هذا الإجرام إحساس الأمان الزائف ريثما تنتهي مهمتهم وإلى أن تقوم قيامتهم ويكشف الغطاء عن بصرهم ليكتشفوا أنهم كانوا ﴿**يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾.

جريمة القول بالإرجاء

تكاملا مع جريمة الافتراء على الله والزعم بأن الفعـل الإنـساني لا يختلف عن حبة الطماطم الّتي تقع في يـده مـن دون رغبـة ولا إرادة منـه ودون تحمل أدنى مسئولية عـن أفعالـه خاصـة الإجراميـة منهـا نـشأت صرعة تبريرية أخرى هي القول بالإرجاء.

وكما ذكرنا من قبل حينما تحدثنا عن معنى (الكـسب) في كتـب مـا يسمى بالعقيدة من أن هؤلاء المتكلمين المثرثرين لا يحددون معنـى ثابتـا لهذا المصطلح حيث لكل فريق مـنهم وجهـة نظـر يـسعى لفرضـها عـلى عموم الناس، والأمر ذاته يسري على مصطلح الإرجاء.

يقول الشهرستاني (الإرجاء على معنيين: أحدهما بمعنـى: التـأخير كما في قوله تعالى: "قالوا: أرجه وأخاه"، أما إطلاق اسـم المرجئـة عـلى الجماعة (أهل السنة) بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون: لا تـضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقيـل: الإرجـاء: تـأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا: من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، فعلى هـذا: المرجئـة والوعيديـة فرقتان متقابلتان. وقيل: الإرجاء: تأخير علي ﷺ عن الدرجة الأولى إلى الرابعة فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان).

ينقل عنـه الـشهرستاني في الملـل والنحـل: الإيـمان هـو التـصديق

بالجنان وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروع، فمن صدق بالقلب أي: أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقاً لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمناً ناجياً ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك.

وصاحب الكبيرة: إذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه إلى الله تعالى: إما أن يغفر له برحمته وإما أن يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي".

وإما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز أن يخلد في النار مع الكفار لما ورد به السمع: بالإخراج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان.

قال: ولو تاب فلا أقول بأنه يجب على الله تعالى قبول توبته بحكم العقل إذ هو الموجب فلا يجب عليه شيء بلى: ورود السمع بقبول توبة التائبين وإجابة دعوة المضطرين.

وهو المالك في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلو أدخل الخلائق بأجمعهم في الجنة لم يكن حيفاً ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً إذ الظلم هو: التصرف فيما لا يملكه المتصرف أو وضع الشيء في غير موضعه وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب إليه جور.

إنه وجه آخر من وجوه نظرية (الإرجاء) الّتي اعتمدها طغاة بني أمية لتسويغ إجرامهم والزعم بأن الله تبارك وتعالى سيغفر لهم.

الإرجاء هو الاعتقاد بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع

الكفر طاعة.

يقول ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة: قال شيخنا أبو عبد الله: أول من قال بالإرجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية ولذلك قال معاوية لمن قال له: حاربت من تعلم، وارتكبت ما تعلم، فقال: وثقت بقوله تعالى: (إن الله يغفر الذنوب جميعا).

الإرجاء إذا هو حجة الطغاة والجلادين الّذين يعذبون شعوبهم وينتهكون حقوق الإنسان في هذا الزمان وفي كل زمان اتكاء على فتاوى وكلام وعاظ السوء وهم الّذين أقاموا مأتما كونيا لطاغيتهم صدام حسين التكريتي لأنه وبعد أن أباد ملايين البشر تقدم نحو المقصلة يحمل مصحفا ويقول لا إله إلا الله!!

ليس على أيّ شقي من هؤلاء الأشقياء إلا أن يدعي الإيمان بقوله تعالى (إن الله يغفر الذنوب جميعا) حسب فهمه ويتنكر لكل الأوامر الإلهية الّتي تأمر بالعدل والإحسان أو تلك الّتي تنهى عن قتل النفس الّتي حرم الله إلا بالحق وتتوعد هؤلاء القتلة بالبقاء والخلود في النار ما دامت السموات والأرض وأن يكثر الفساد في الأرض بموجب هذا الزعم الفاجر الّذي توقح البعض وأسماه عقيدة ليس فقط توحيدية بل هي عقيدة الفرقة الوحيدة الناجية وكل من عداها في النار!!

ثم... من شهد لكم بالإيمان أيها القتلة المستهزئون المستخفون بأوامر الله ونواهيه؟!

ليس كل من ادعى الإيمان صار مؤمنا فالمنافقون ادعوا الإيمان دون

أن يكون لهم من حقيقة الإيمان نصيب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ النساء ٦٠-٦١.

الثنوية الوهابية التيموية!!!

لم يقف الخطب الجلل على تجسيد الذات الإلهية أو الزعم بانعدام مسئولية المجرمين عن جرائمهم كونها مجرد كسب وليست فعلا ارتكبه هؤلاء عن عمد وتصميم وإصرار وسابق تصور، بل لقد وصل الحد بابن تيميه وتلميذه محمد بن عبد الوهاب لإضافة اختراع جديد هو الزعم بأن ثمة عنوانين منفصلين للذات الإلهية هما الألوهية والربوبية حيث يقول ابن عبد الوهاب: اعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان كما في قوله (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) ويقول أيضا (الربوبية في هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران فينبغي التفطن لهذه المسألة).

أي أن الربوبية يمكن أن تكون قسيمة للألوهية!!.

أي أن التوحيد الإسلامي ومن خلال الرؤية الوهابية قد انشطر إلى شطرين:

الشطر الأول هم المؤمنون بالربوبية وكفى

والشطر الثاني هم المؤمنون بالربوبية والألوهية.

ورغم أن أحدا من (السلف) قبل ابن تيميه لم يلجأ إلى التمييز بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية إذ أن القرآن الكريم قد استخدم المصطلحين بمعنى واحد فالله هو رب السماوات والأرض حتى جاء هو وادعى إمكانية أن يكون ثمة إيمان بتوحيد الألوهية وشرك في الربوبية ليفتح لنفسه المجال ولتلميذه محمد بن عبد الوهاب من بعده لتكفير الموحدين الّذين يشهدون أن لا إله إلا الله لأنهم بزعمه يوحدون الألوهية ويشركون في الربوبية!!

يقول مخترع الثنوية الوهابية:

والمشركون الّذين قاتلهم رسول الله ﷺ قد أقروا بتوحيد الربوبية، وإنما قاتلهم رسول الله ﷺ عند توحيد الألوهية، ولم يدخل الرجل في الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية وأن (الّذين أقروا بالربوبية دون الألوهية) ما عرفوا التوحيد وإنهم منكرون دين الإسلام.

فإذا كنت تعرف أن النبي ﷺ ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية، وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا ودخلوا وخرجوا وجاهدوا ليلا ونهاراً في صد الناس عن التوحيد يقرأون عليهم مصنفات أهل الشرك لأي شيء لم تظهر عداوتهم وأنهم كفار مرتدون؟ فإن كان باين لك أن أحداً من العلماء لا يكفر من أنكر التوحيد أو أنه يشك في كفره فاذكره لنا وأفدنا !!.

وهكـذا يمـضي ركـب الأهـواء والآراء عابثـا بمفـاهيم التوحيـد والوحدانية تـارة يبحـث عـن وسـيلة لتبريـر ارتكابـات أكـابر مجرميهـا ونسبتها للخالق العظيم وتارة أخرى باحثا عن وسيلة لتكفـير المـسلمين وضرب رقابهم لأنهم أقروا بالربوبية وأنكروا الألوهية وهكذا.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَـا تَقْعُـدْ بَعْـدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام (٦٨).

التوحيد عند الشيخ محمد عبده

الحديث عن التوحيد عند الشيخ محمد عبده عليه رحمة الله له أهميـة كبرى وله مذاق خاص.

من ناحية فقد تتلمذ الشيخ محمد عبده على يد الـسيد جمـال الـدين الأفغاني أو الأسد آبادي كما يقول الإيرانيون ومن ناحية أخرى فهو ابـن الأزهر وكتابه (رسالة التوحيـد) الّـذي ننقـل عنـه الآن كتـاب مـا زال معتمدا ويجري طبعه وتوزيعه لحظة كتابة هذه السطور.

عندما تقرأ هذا الكتاب تجد أن كلام الشيخ محمد عبـده يـدور مـع الدليل الراجح سواء كان دلـيلا عقليـا أو نقليـا والمهـم أن لـيس هنـاك عنوان مسطور ممهور يعلو كلامه، الّذي لا يمكن إدراجه بحال في خانـة الأشعرية المتجمدة ومن باب أولى فقـد سـبق كتابـه الاجتيـاح الوهـابي، ذلك الاجتياح الّذي يقوم على تكديس الأدلة النقلية دون التثبـت منهـا

ومن باب أولى دون عرضها على العقل.

أولا: الأدلة العقلية

يقول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد في مجال عرضه الاستدلالي إثباتا للتوحيد الإلهي بالدليل العقلي الفلسفي:

الممكن والواجب

جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة، وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه الوجود، فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها إلى موجد لها.

فإما أن يكون هذا الموجد عينها وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه.

وإما أن يكون جزؤها وهو محال لاستلزامه أن يكون الشيء سببا لنفسه ولما سبقه إن لم يكن الأول، ولنفسه فقط إن فرض أول، وبطلانه ظاهر.

فوجب إذاً أن يكون السبب وراء جملة الممكنات والموجود الّذي ليس بممكن هو الواجب إذ ليس وراء الممكن إلا المستحيل والواجب، ولأن المستحيل لا يوجد يبقى الواجب.

فثبت أن للممكنات الموجودة موجدا واجب الوجود.

وأيضا الممكنات الموجودة سواء كانت متناهية أو غير متناهية قائمة بوجود، فذلك الوجود إما أن يكون مصدره ذات الإمكان وماهيات الممكنات وهو باطل لما سبق في أحكام الممكن من أنه لا شيء

من الماهيات الممكنة بمقتض للوجود فتعين أن يكون مصدرها سواها وهو الواجب بالضرورة. ص٣٩.

تفسير هذا (والكلام لنا) أن واجب الوجود هو الله تبارك وتعالى والممكن هو المخلوق، وهي حقيقة عقلية، توجب كونه سبحانه قديما أزليا ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ الحديد٣، وأن الممكنات أي المخلوقات تحتاج إلى موجد لها، وأن هذا الموجد لا يمكن أن يكون غير واجب الوجود أي الخالق عز وجل، وأن ما عدا الممكن لا يمكن أن يكون سوى المستحيل أو الواجب، والمستحيل غير موجود فلم يبق إذا غير واجب الوجود.

ثم يفصل الشيخ محمد عبده أحكام واجب الوجود (القدم والبقاء، أي كونه الأول والآخر)، فضلا عن (نفي التركيب) فيقول:

أحكام واجب الوجود: القدم والبقاء ونفي التركيب

من أحكام الواجب أن يكون قديما أزليا لأنه لو يكن كذلك لكان حادثا.

والحادث ما سبق وجوده بالعدم فيكون وجوده مسبوقا بعدم وكل ما سُبق بالعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود وإلا لزم رجحان المرجوح بلا سبب وهو محال فلو لم يكن الواجب قديما لكان محتاجا في وجوده إلى موجد غيره وقد سبق أن الواجب ما كان وجوده لذاته فلا يكون ما فرض واجباً واجبا، وهو تناقض محال ومن أحكامه ألا يطرأ عليه عدم

وإلا لزم سلب الشيء عن نفسه وهو محال بالبداهة.

ومن أحكامه ألا يكون مركبا إذ لو تركب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته الّتي هي ذاته وكل جزء من أجزائه غير ذاته بالضرورة فيكون وجود جملته محتاجا إلى وجود غيره وقد سبق أن الواجب ما كان وجوده لذاته ولأنه لو تركب لكان الحكم له بالوجود موقوفا على الحكم بوجود أجزائه، وقد قلنا إنه لذاته من حيث هي ذاته ولأنه لا مرجح لأن يكون الوجوب له دون كل جزء من أجزائه بل يكون الوجوب لها أرجح فتكون هي الواجبة دونه. ص٤٠.

نفي التركيب في الواجب شامل لما يسمونه **حقيقة عقلية أو خارجية** فلا يمكن للعقل أن يحاكي ذات الواجب بمركب فإن الأجزاء العقلية لا بد لها من منشأ انتزاع في الخارج فلو تركبت الحقيقة العقلية لكانت الحقيقة مركبة في الخارج وإلا كان ما فرض حقيقة عقليةً، اعتباراً كاذب الصدق لا حقيقة.

كما لا يكون الواجب مركبا لا يكون قابلا للقسمة في أحد الامتدادات الثلاث أي لا يكون له امتداد لأنه لو قبل القسمة لعاد بها إلى غير وجوده الأول وصار إلى وجودات متعددة وهي وجودات الأجزاء الحاصلة من القسمة فيكون ذلك قبولا للعدم أو تركبا وكلاهما محال كما سبق. ص٤١.

نقول نحن: أما إثبات القِدم للخالق عز وجل أو واجب الوجود، فهذا مما لم يختلف عليه بين أهل الديانات السماوية. أما نفي التركيب

سواء أخذ التركيب صورة الحقيقة العقلية أو الخارجية، فهذا مما اختلف فيه بين أصحاب الديانات من الأولين والآخرين والأسوأ من هذا بين المنتمين للإسلام.

التوحيد كما وصفه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ألا تتوهمه) والتوهم البشري للذات الإلهية أنتج نوعين من الوثنية: الوثنية الحجرية الّتي حاولت أن تصنع تمثالا أو مثالا نموذجا للإله، والنوع الثاني هي الوثنية التصورية الّتي اخترعت تصورا تجسيديا لإله يصعد ويهبط ويذهب ويجيء، له ساق وعينين بل وخمس أصابع.

فهذه صورة عقلية حاول البعض رفعها إلى مرتبة الحقيقة والمعتقد وهي منافية بالكلية للعقل الّذي يحكم باستحالة تركيب واجب الوجود إذ (لا يمكن للعقل أن يحاكي ذات الواجب بمركب فإن الأجزاء العقلية لا بد لها من منشأ انتزاع في الخارج وإلا كان ما فرض حقيقة عقلية اعتباراً كاذب الصدق لا حقيقة).

صفة الحياة

يقول الشيخ محمد عبده: معنى الوجود وإن كان بديهيا عند العقل لكنه يتمثل له بالظهور ثم الثبات والاستقرار وكمال الوجود وقوته بكمال هذا المعنى وقوته بالبداهة.

كل مرتبة من مراتب الوجود تستتبع بالضرورة من الصفات الوجودية ما هو كمال لتلك المرتبة في المعنى السابق ذكره وإلا كان

الوجود لمرتبة سواها وقد فرض لها ما يتجلى للنفس من مُثُل الوجـود لا ينحصر وأكمل مثال في أي مراتبه ما كان مقرونا بالنظـام والكـون عـلى وجه ليس فيه خلل ولا تشويش فإذا كـان ذلـك النظـام بحيـث يـستتبع وجودا مستمرا وإن في النـوع كـان أدل عـلى كـمال المعنـى الوجـودي في صاحب المثال.

فإن تجلت للنفس مرتبة من مراتب الوجود على أن تكـون مـصدرا لكل نظام كان ذلك عنوانا عـلى أنهـا أكمـل المراتـب وأعلاهـا وأرفعهـا وأقواها.

وجود الواجب هو مصدر كل وجود ممكن كما قلنا وظهر بالبرهان القاطع فهو بحكم ذلك أقـوى الوجـودات وأعلاهـا فهـو يـستتبع مـن الصفات الوجودية ما يلائم تلك المرتبة العليا، وكل مـا تـصوره العقـل كمالا في الوجود من حيث مـا يحـيط بـه مـن معنـى الثبـات والاسـتقرار والظهور وأمكن أن يكون له، وَجب أن يثبت له وكونه مـصدرا للنظـام وتصريف الأعمال على وجه لا اضطراب فيه يعد من كـمال الوجـود كـما ذكرنا فيجب أن يكـون ذلـك ثابتـا لـه فـالوجود الواجـب يـستتبع مـن الصفات الوجودية الّتي تقتضيها هذه المرتبة ما يمكن أن يكون له.

فمما يجـب أن يكـون لـه صـفة الحيـاة وهـي صـفة تـستتبع العلـم والإرادة وذلك أن الحياة مما يعتبر كمالا للوجود بداهة فإن الحياة مـع مـا يتبعها مصدر النظام وناموس الحكمة وهي في أي مراتبها مبـدأ الظهـور والاستقرار في تلك المرتبة، فهي كمال وجـودي ويمكـن ان يتـصف بهـا

الواجب وكل كمال وجودي يمكن أن يتصف به وجب أن يثبت له، فواجب الوجود حي وإن باينت حياته حياة الممكنات فإن ما هو كمال للوجود إنما هو مبدأ العلم والإرادة ولو لم تثبت له هذه الصفة لكان في الممكنات ما هو أكمل منه وجودا، وقد تقدم أنه أعلى الموجودات وأكملها فيه.

والواجب هو واهب الوجود وما يتبعه فكيف لو كان فاقدا للحياة، يعطيها؟!، فالحياة له كما أنه مصدرها. ٤٣ انتهى.

نقول نحن: من الصفات الّتي يتصف بها واجب الوجود صفة الحياة والعلم وهو ما يمكن التعبير عنه (لغة) بصفات الكمال وإلا فالصفة هنا هي عين الذات (حياته هي عين ذاته وعلمه هو عين ذاته)، وهو ما يعبر عنه الشيخ بقوله (واجب الوجود حي وإن باينت حياته حياة الممكنات فإن ما هو كمال للوجود إنما هو مبدأ العلم والإرادة ولو لم تثبت له هذه الصفة لكان في الممكنات ما هو أكمل منه وجودا وقد تقدم أنه أعلى الموجودات وأكملها فيه).

إن أردت الدقة اللغوية قلت: وإن باينت حياة الكائنات حياته وليس العكس (وإن باينت حياته حياة الممكنات فإن ما هو كمال للوجود إنما هو مبدأ العلم والإرادة)، لئلا نقع في الفخ الّذي وقع فيه التجسيديون الّذين يصرون على مقاربة ومقارنة الخالق بالمخلوق قبل أن يتموا كلامهم الناقص المعوج الّذي لا يقبل كمالا ولا إكمالا (له حياة وعلم ولكنها ليست كحياة وعلم البشر) ظنا منهم (وبعض الظن إثم)

و(إن الظن لا يغني من الحق شيئا) أنهم بهذا يثبتون التنزيه، فمقاربة أومقارنة شيء بشيء إثباتا لا تختلف عن المقارنة نفيا في كثير أو قليل.

العلم

يقول الشيخ محمد عبده: ومما يجب له صفة العلم وبه (بالعلم) انكشاف شيء عند من ثبتت له تلك الصفة، أي أن مصدر ذلك الانكشاف منه (من العالم وليس من المعلوم) لأن العلم من الصفات الوجودية الّتي تعد كمالا في الوجود، ويمكن أن تكون للواجب وكل ما كان كذلك وجب أن يثبت له فواجب الوجود عالم.

ثم البداهة قاضية بأن العلم كمال في الموجودات الممكنة ومن الممكنات من هو عالم (ومن ليس بعالم) فلو لم يكن الواجب عالما لكان في الموجودات الممكنة ما هو أكمل من الوجود الواجب وهو محال كما قدمنا، ثم هو واهب العلم في عالم الإمكان ولا يعقل أن واهب العلم يفقده (فاقد الشيء لا يعطيه)[1].

علم الواجب من لوازم وجوده كما ترى فيعلو على العلوم علو وجوده عن الوجودات فلا يتصور في العلوم ما هو أعلى منه فيكون محيطا بكل ما يمكن علمه وإلا تصور العقل علما أشمل وهو إنما يكون لوجود أكمل وهو محال. ص٤٤

---

(١) ما بين الأقواس من عندنا للإيضاح (أحمد راسم النفيس).

ما هو لازم لوجود الواجب يغني بغناه ويبقى ببقائه وعلم الواجب من لوازم وجوده فلا يفتقر إلى شيء ما وراء ذاته فهو أزلي أبدي غني عن الآلات وجولة الفكر وأفاعيل النظر فيخالف علوم الممكنات بالضرورة ما يوجد من الممكنات. ص٤٥

نقول: الفقرة السابقة (يغنى بغناه ويبقى ببقائه...) تعني أن صفات الله الكمالية هي عين الذات وليست زائدة عن الذات، فلا يقال عالم بعلم ولا حي بحياة كما يقول التجسيديون ومن بينهم الأشعري.

الإرادة

مما يجب لواجب الوجود الإرادة وهي صفة تخصص فعل العالم بأحد وجوهه الممكنة بعدما ثبت أن واهب وجود الممكنات هو الواجب وأنه عالم وأن ما يوجد من الممكن لا بد أن يكون على وفق علمه ثبت بالضرورة أنه مريد لأنه إنما يفعل على حسب علمه، ثم إن كل موجود فهو على قدر مخصوص وصفة معينة وله وقت ومكان محدودان وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة وتخصيصها كان على وفق العلم بالضرورة ولا معنى للإرادة غير هذا[1].

نقول: الإرادة الإلهية لا تنفصل لا عن الحكمة الإلهية ولا عن العدل الإلهي فالله تبارك وتعالى حكمه العدل ﴿**الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا**

(١) رسالة التوحيد. الشيخ محمد عبده ص ٤٨.

وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا اقْتِدَاءٍ وَ لَا تَعْلِيمٍ وَ لَا احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ وَلَا إِصَابَةِ خَطَإٍ وَلَا حَضْرَةِ مَلَإٍ﴾[1].

القدرة

ومما يجب لواجب الوجود القدرة وهي صفة بها الإيجاب والإعدام ولما كان الواجب هو مبدع الكائنات على مقتضى علمه وإرادته فلا ريب يكون قادرا بالبداهة لأن فعل العالم المريد فيما علم وأراد إنما يكون بسلطة له على الفعل ولا معنى للقدرة إلا هذا السلطان.

الاختيار

ثبوت هذه الصفات الثلاث يستلزم بالضرورة ثبوت الاختيار إذ لا معنى له إلا إصدار الأثر بالقدرة على مقتضى العلم وعلى حكم الإرادة فهو الفاعل المختار ليس من أفعاله ولا من تصرفه في خلقه ما يصدر عنه بالعلية المحضة والاستلزام الوجودي دون شعور ولا إرادة، وليس من مصالح الكون ما يلزمه مراعاته لزوم تكليف بحيث لو لم يراعه لتوجه عليه النقد فيأتيه تنزها عن اللائمة تعالى عن ذلك علوا كبيرا، ولكن نظام الكون ومصالح العظمى إنما تقررت له بحكم أنه أثر الوجود

(١) نهج البلاغة الإمام علي خطبة ١٩١.

الواجب الّذي هو أكمل الوجودات وأرفعها فالكمال في الكون إنما هو تابع لكمال المكون وإتقان الإبداع إنما هو مظهر لسمو مرتبة المبدع. ص٤٨.

الوحدة

ومما يجب له صفة الوحدة ذاتا ووصفا ووجودا وفعلا، أما الوحدة الذاتية فقد أثبتناها فيما تقدم بنفي التركيب في ذاته خارجا وعقلا وأما الوحدة في الصفة، أي أنه لا يساويه في صفاته الثابتة له موجود، فلِما بينا من أن الصفة تابعة لمرتبة الوجود... وليس في الموجودات ما يساوي واجب الوجود في مرتبة الوجود فلا يساويه فيما يتبع الوجود من الصفات، وأما الوحدة في الوجود وفي الفعل ونعني بها التفرد بوجوب الوجود وما يتبعه من إيجاد الممكنات، فهي ثابتة لأنه لو تعدد واجب الوجود لكان لكل من الواجبين تعين يخالف تعين الآخر بالضرورة، وإلا لم يتحصل معنى التعدد وكلما اختلفت التعينات اختلفت الصفات الثابتة للذوات المتعينة لأن الصفة إنما تتعين وتنال تحققها الخاص بها بتعين ما ثبتت له بالبداهة فيختلف العلم والإرادة باختلاف الذوات الواجبة إذ يكون لكل واحدة منها علم وإرادة يباينان علم الأخرى وإرادتها ويكون لكل واحدة علم وإرادة يلائمان ذاتها وتعينها الخاص بها. ٤٩.

وقبل أن نستفيض في مناقشة تفصيلية لما أورده الشيخ محمد عبده

من مسائل، نلفت الانتباه إلى أن ما تحدث به الرجل يخرج كليا عن القوالب الجامدة الّتي اعتمدها الأزهر بصورة رسمية وهو المعتقد الأشعري الحشوي التجسيدي، وأن المنهج العقلي الّذي اعتمده الشيخ محمد عبده يبتعد عن هذا المنهج القائم على رص الأدلة الصحيحة والباطلة جنبا إلى جنب استنادا إلى يقين لا يستند إلى أي يقين بصحة كل ما ورد في كتب الروايات مهما كانت درجة التناقض بينها وبين ما ورد في كتاب الله الّذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومهما كانت درجة تناقضها مع ثوابت العقل.

تلاشت عقلانية الشيخ محمد عبده ولم يعد لها أثر ولا وجود خاصة بعد الاجتياح الوهابي للأزهر ولم يبق من الشيخ ولا من منهجه إلا لقب الإمام الّذي يتمسح به البعض ولو استطاع التيار الوهابي الّذي يهيمن الآن على هذه المؤسسة لسحب منه لقب الإمام ومنحه لابن التيميه الّذي أصبح الآن المرجعية شبه الرسمية للأزهر.

التوحيد في مدرسة أهل بيت النبوة

رأينا فيما سبق ذلك اللغط والهرج والمرج الّذي تسبب فيه الجهلة المتصدون للإفتاء في القملة والنملة فضلا عن أمور العقيدة والدين والسياسة والجنس وكرة القدم ممن يصدق عليهم وصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (ليس فيهم منار هدى ولا علم يرى).

حالة من الجلبة والصخب والضجيج كتلك الّتي يحدثها تجمع

للصغار ممن لا يملكون أي قدرة على تنسيق الحوار حيث يتحدث الكل في ذات الوقت في نفس واحد فلا تقدر حتى على تمييز الأصوات بعضها من بعض.

النقاش حول عقيدة التوحيد لا يختلف اختلافا ذي شأن عن الحوار الّذي أداره عبد الله بن عباس مع الخوارج بأمر من الإمام علي عليه السلام محملا بوصية بالغة الأهمية والقيمة.

﴿لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآن، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوه، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، ولكنْ حاجّهُمْ بالسُّنَّة، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجدُوا عَنْهَا مَحيصاً﴾[1].

احترف هؤلاء الصغار فنون المراء والتلاعب بالألفاظ والمصطلحات من أجل تمرير أباطيلهم وترهاتهم وعلى سبيل المثال فالآية الّتي استدل بها البيهقي على أن الله تبارك وتعالى هو صانع الأصنام تقول (والله خلقكم.. وما تعملون)، فلو وضع بعدها علامة استفهام لاتضح المعنى ولاتضح أن (ما) هنا للاستفهام ولما كان هناك أي مبرر لتلك الجرأة على الله والزعم الفاجر بأنه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا هو صانع الأصنام!

لا مجال للحوار مع هؤلاء على طريقة (تقول ويقولون) فهم (قد أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ).

وعلى سبيل المثال فإن البناء الفكري للمعتقد الوهابي قام من ألفه إلى

---

(١) وصية ٧٧ نهج البلاغة.

يائه على مغالطة لفظية تقول أن كلمة (دعا يدعو) في القرآن الكريم تعني شيئا واحدا هو الطلب واستثناء بقية معانيها الّتي لا تفهم إلا في إطار السياق من أن (دعا يدعو ادعي؟؟؟) زعم وليس طلبا، فما بالك بمن قرروا إقناعنا بأن الخالق عز وجل هو أكبر صانع للأصنام في هذا العالم!!

الفريق المشار إليه تعامل مع قضايا العقيدة انطلاقا من ارتباطه وتعلقه بالمنظومة الطاغوتية الجاهلية السابقة على ظهور الإسلام والّتي أعادها إلى الوجود المنظومة الطاغوتية الأموية عقب انتصارها في المواجهة مع معسكر الطهر والنقاء والاستقامة، معسكر أهل بيت النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم).

نخطئ عندما نصف تلك الترهات الّتي تزعم وتدعي أن الله هو خالق الأصنام وأنه قدر على عباده الزنا والسرقة والقتل، بالمنظومة إذ لا علاقة لها بأي نظام فهؤلاء «لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ»[1].

لهذا السبب قررنا أن نلج إلى علم التوحيد من بوابة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله (وأتوا البيوت من أبوابها).

(١) خطبة ٨٨ نهج البلاغة.

سُئِلَ الإمام علي بن أبي طالب عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ فَقَالَ عليه السلام: «التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ وَ الْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهِمَهُ»(١).

التوحيد الحقيقي كما شرحه الإمام علي عليه السلام هو ألا تعبد صنما صنعه مَثَّال لا من حجارة ولا من صنع الوهم والخيال.

التوحيد الحقيقي عند الإمام علي يرتبط ارتباطا عضويا بالإيمان بالعدالة الإلهية وأن الله تبارك وتعالى أحسن كل شيء صنعا فلا يليق بالموحد أن يتهمه وأن يلصق بذاته العلية ما يجري في هذا الكون من مظالم سواء تلك الّتي ارتكبها المتكبرون المتجبرون أو تلك الابتلاءات الّتي يتعرض لها البشر قدرا ولا ينكشف للإنسان وجه الحكمة الكامنة وراء إجرائها لحظة حدوثها.

نحن أمام نوعين من الأصنام الّتي عبدت دون الله.

النوع الأول أصنام حجرية صنعها أهل الجاهلية وضعوها في محاريبهم ومعابدهم في محاولة منهم لتنزيل الله عز وجل إلى عالم الإنسان.

أما النوع الثاني فقد صنعه الوهم والخيال ووضعه ككلمات في كتب ينسبونها إلى الله عز وجل والله منهم ومن كذبهم براء.

النوع الثاني هو الأخطر والأهم عندما تنزل النازلة الكبرى يوم لا ينفع الندم يوم الحساب عندما يتَبَرَّأُ التَّابِعِونَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ **(يَقُولُونَ تَاللَّه إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ**

---

(١) نهج البلاغة تحقيق صبحي صالح ج١ ص٥٥٨، الحكمة: ٤٧٠.

إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً).

ولأن الإيمان الحقيقي معتقد يقوم على التصديق والتنزيه، تصديق بأن الله الواحد الأحد هو الخالق البارئ المصور، وتنزيه لله عن المثل والشبيه والشريك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الشورى ١١-١٢.

العدالة هي مظهر من مظاهر القدرة الإلهية وهي الناموس الّذي يسيّر الكون، بكل بمكوناته، من الجمادات والنباتات والحيوانات والأفلاك والمجرات وصولا إلى الإنسان ذلك الكائن الّذي يمتلك كامل إرادته.

يقول سبحانه ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ النجم ٥-٩.

ومن ثم فإن نسبة الحيف والظلم إلى الله أو نفي مسئولية الإنسان عن ارتكاباته الشريرة يعد إنكارا للقدرة الإلهية الّتي وضعت للكون نظاما دقيقا يحقق التوزان بين عناصره ومكوناته، يمنع حدوث أي نوع من الاختلال

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء ٢٢.

المدخل إلى علم التوحيد

يقوم البحث في هذا العلم على قاعدتين رئيسيتين أولاهما النظر في الأدلة العقلية والثانية النظر في الأدلة النقلية معتمدين في ذلك الوصية النبوية المحكمة الّتي توصي باتّباع الثقلين: كتاب الله عز وجل والعترة النبوية الطاهرة الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهي وصية رسول الله ص في حجة الوداع ويوم غدير خم (الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الّذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله - أما بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الّذي قبله وإني أوشك أن أدعى فأجبت وإني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرا قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك قال: اللهم اشهد ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم قال: فإني فرط على الحوض وأنتم واردون علي الحوض وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من

فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر الأصغر عترتي وإن اللطيف الخبير نبأني انهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، يقولها ثلاث مرات وفي لفظ احمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ألا فليبلغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي الآية فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنأه في مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول : بخ بخ لك يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)[1].

---

(١) المستدرك للحاكم رواية ٤٥٧٦، ٤٥٧٧.

العدل

يصنف علماء الإمامية الإلهيات إلى أبواب منفصلة (العقيدة في الله ثم التوحيد والصفات) ثم يتحدثون عن (العدل والتكليف والقضاء والقدر) وهو التصنيف الوارد في كتاب عقائد الإمامية للعلامة المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر.

في اعتقادنا أن مسائل التكليف والقضاء والقدر تكاد تشكل موضوعا واحدا متداخلا متفرعا عن قضية العدل الإلهي.

قال الشيخ أبو جعفر[1]: اعتقادنا أنّ الله تبارك وتعالى أمرنا بالعدل وعاملنا بما هو فوقه، وهو التفضّل، وذلك أنه عزّ وجلّ يقول: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون**﴾.

والعدل هو أن يثيب على الحسنة، ويعاقب على السيّئة.

أما الشهرستاني فيقول في الملل والنحل: العدل وضع الشيء موضعه وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم والظلم بضده فلا يتصور منه الجور في الحكم ولا الظلم في التصرف. وعلى مذهب أهل الاعتزال:العدل: ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة.

---

(١) اعتقادات الصدوق.

أما الشيخ المفيد فيقول في (تصحيح الاعتقاد): العدل، هو الجزاء على العمل بقدر المستحق عليه، والظلم، هو منع الحقوق، والله تعالى عدل كريم جواد متفضل رحيم، قد ضمن الجزاء على الاعمال، والعوض على المبتدئ من الآلام، ووعد التفضل بعد ذلك بزيادة من عنده. فقال تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الاية، فخبر أن للمحسنين الثواب المستحق وزيادة من عنده وقال: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) يعني له عشر أمثال ما يستحق عليها. (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون) يريد أنه لا يجازيه بأكثر مما يستحقه، ثم ضمن بعد ذلك العفو ووعد بالغفران

فقال سبحانه: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ**﴾ وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء**﴾. وقال سبحانه: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ**﴾ والحق الّذي للعبد هو ما جعله الله تعالى حقا له واقتضاه جود الله وكرمه، وإن كان لو حاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم الّتي أسلفها حق، لانه تعالى ابتدأ خلقه بالنعم وأوجب عليهم بها الشكر، وليس أحد من الخلق يكافئ نعم الله تعالى عليه بعمل، ولا يشكره أحد إلا وهو مقصر بالشكر عن حق النعمة. وقد أجمع أهل القبلة على أن من قال: إني وفيت جميع ما لله تعالى علي وكافأت نعمه بالشكر، فهو ضال، وأجمعوا على أنهم مقصرون عن حق الشكر، وأن لله عليهم حقوقا لو مد في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لما وفوا لله سبحانه بما له

عليهم، فدل ذلك على أن ما جعله حقا لهم فـإنما جعلـه بفـضله وجـوده وكرمه. ولان حـال العامـل الـشاكر بخـلاف حـال مـن لا عمـل لـه في العقول، وذلك أن الشاكر يستحق في العقول الحمـد، ومـن لا عمـل لـه فليس في العقول له حمد، وإذا ثبت الفضل بين العامل ومن لا عمـل لـه كان ما يجب في العقول من حمده هو الّذي يحكم عليه بحقـه ويـشار إليـه بذلك، وإذا أوجبت العقول له مزية على من لا عمل له كان العـدل مـن الله تعالى معاملته بما جعله في العقول له حقا. وقد أمر الله تعـالى بالعـدل ونهى عن الجور، فقال تعالى: (إن الله يـأمر بالعـدل والاحـسان). انتهـى النقل.

أما الشهيد الـسعيد الـسيد/ محمـد بـاقر الـصدر فيقـول في كتابـه (المدرسة القرآنية):

العدل هو جانب من التوحيد، العدل صفة من صفات اللهّ سبحانه وتعالى، حال العلم، حال القدرة، لا يوجـد ميـزة عقائديـة في العـدل في مقابل العلم، في مقابل القـدرة ولكـن الميـزة هنـا ميـزة اجتماعيـة، ميـزة القدوة، لأن العدل هو الـصفة الّتـي تعطـي وتغنـي المـسيرة الاجتماعيـة والّتي تكون المسيرة الاجتماعية بحاجة إليها اكثر مـن أي صـفة أخـرى، أبرز العدل هنا كأصل ثاني من أصول الدين باعتبار المدلول التـوجيهي، باعتبار المدلول التربوي لهذه الصفة، قلنـا بـأن صـفات اللهّ وأخـلاق اللهّ علّمنا الإسلام على أن لا نتعامل معها كحقائق عينية ميتافيزيقية فوقنا لا صلة لنا بها وإنما نتعامل معها كمنارات على الطريق، من هنا كان العـدل

له مدلوله الأكبر بالنسبة إلى توجيه المسيرة البشرية ولأجل ذلك أفرز. وإلّا العدل في الحقيقة هو داخل في إطار التوحيد العام، في إطار المثل الأعلى.

لماذا الإصرار على اعتبار العدل ضمن العناوين الكلية؟!

من ناحية فالعدل يمكن إدراجه ضمن العناوين الفرعية للمفاهيم الإسلامية شأنه شأن الرحمة والصدق وفعل الخير وإخلاص العبادة لله رب العالمين وغيرها من القيم الّتي حض كتاب الله وسنة نبيه على التمسك بها.

فلماذا التمسك بهذه القيمة تحديدا وإدراجها ضمن العناوين الرئيسة للمعتقد الإسلامي في إطاره الإمامي؟!.

الله تبارك وتعالى يقول (ورحمتي وسعت كل شيء) فلماذا لم يوضع عنوان (الرحمة الإلهية) ضمن العناوين الرئيسية للمعتقد الإمامي؟!

لو تأملنا في كتاب الله عز وجل وفي مسار تاريخ الأمة الإسلامية لوجدنا أن (العدل) يتخطى كونه مطلبا وتكليفا ألزم به الله عباده وألزم به نفسه (سبحانه وتعالى عما يشركون) ليصبح قانونا ناظما لحركة الكون والأفراد والجماعات.

لو تأملنا في مجموع القيم الأخلاقية الواردة في كتاب الله عز وجل (لا تقربوا الزنا)، (أوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) لتأكد لنا أن العدل الإلهي جزء لا يتجزأ من كل هذه القيم، وهو ليس جزءا عاديا بل محور وناظم وضابط إذا جرى انتهاكه أصيبت المنظومة بأسرها بالعطب

والخلل والشلل وصولا إلى الدمار الجزئي أو الكلي انتهاء بزوال الأمم واختفائها من الساحة الكونية.

الطهارة الأخلاقية واجتناب الفواحش هي القيمة الأخلاقية ظاهرا أما العدل فهو ذات القيمة باطنا.

الوفاء بالعهد هو القيمة ظاهرا والعدل هو ذات القيمة باطنا.

نحن لا نقول (والعياذ بالله) أن القيم المشار إليها أو غيرها من قيم الدين ومبادئه هي قيم شكلية بل نقول أن هذه القيم ورغم أهميتها المطلقة جوهرها ولبها هو العدل كونه قيمة ناظمة وجامعة لكل القيم.

القيم المشار إليها ولا نستثني منها قيمة ولا مبدأ ولا نقلل من شأن أي التزام أخلاقي تشبه حبات المسبحة أما العدل فهو الخيط الجامع والناظم لهذه الحبات ولولاه ما كانت هناك مسبحة.

خذ عندك قيمة الوفاء

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ**. خطبة ٤١.

ويقول عليه السلام: **وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ**

وَكُلُّ فُجَرَة كُفَرَةٌ وَلكُلِّ غَادر لوَاءٌ يُعْرَفُ بـه يَـوْمَ الْقيَامَـة وَاللَّـه مَـا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَة. كلام ٢٠٠

الوفاء بالوعـد والتـزام العهـد قيمـة يلتزمهـا المـسلم دون اعتبـار للمنفعة أو الضرر الّذي قد يحصل له نتيجة التزامه ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾[1]، أما إذا قرنت هـذه القيمـة بقيمـة العـدل فعـلى المسلم أن يضع في اعتباره عواقب الغدر والنكث وأهمهـا أن (**كُلُّ غُدَرَة فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَة كُفَرَةٌ وَلكُلِّ غَادر لوَاءٌ يُعْرَفُ به يَوْمَ الْقيَامَة**) وأنَّ هذا النكث والغدر الّذي مارسه البعض استخفافا واسـتهانة بالعواقـب سيرتد حتما على صاحبه بلاء وكوارث في الدنيا والآخرة.

العدل إذاً فضلا عن كونه قيمة فهـو آليـة مـضمرة تعمـل بـصورة تلقائية لتنظم العلاقة بين أجـزاء الكـون ومكوناتـه سـواء كانـت تلـك المكونات أفرادا أو جماعات قبلية أو دينيـة أو مذهبيـة أو كانـت دولا أو حتى كتلا سياسية وتحالفات دولية متواجهة فيما بينهـا مـثلما كـان الحـال اثناء الحرب الباردة بين الشرق والغرب.

المدى الزمني الّذي يستغرقه الاشتباك بين الأفراد محكوم بـالأعمار الفاعلة لهؤلاء في حين أن الاشتباك بين الأمم والجماعات أو حتى داخـل الأمم والجماعات حول المفـاهيم الرئيـسة والحاكمـة ربـما يطـول ويمتـد قرونا وقرونا ويبقى العدل الإلهي هو الآلية الحاكمـة والمحـدد الأسـاس

(١) الإسراء ٣٤.

للوجهة النهائية للصراع وإن طال الزمان.

هكذا نفهم ما ورد في القرآن الكريم حول هلاك الأمم بسبب الظلم ﴿**ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**﴾ الأنعام ١٣١.

أما عن المدة الزمنية الّتي يستغرقها الصراع قبل أن تنجلي الغبرة معلنة تحقق العدل الإلهي بانتصار المظلومين على الظالمين والمستضعفين على المستكبرين فدونك قوله تعالى: ﴿**أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾[1].

العدل الإلهي هو سر الله المودع في ذرات هذا الكون مهما صغرت وفي قمم الجبال وشواهقها مهما كبرت وهو ظل الإنسان وأثره وتبعة عمله سواء كان هذا الإنسان فردا صغيرا أو عصابة كبرى أو دولة عظمى أصابها هوس القوة وجنون العظمة أبت قدرة الله ومشيئتهم إلا أن تتعقبهم وأن تخلفهم في أعمالهم وأفعالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

العدل الإلهي ميزان جلي يوضع في الأسواق ليعطي كل ذي حق حقه، وميزان معنوي يزن به قضاة العدل في محاكم أو دواوين تقضي بين الناس في الدرهم والدينار والقنطار والقطمير، وهو قذيفة تنطلق من

---

(١) الشعراء ٢٠٤-٢٠٩.

عمق التاريخ لتصيب أبعد نقطة في الحاضر أو المستقبل لتدمر هياكل الظلم والظالمين الّذين يظنوا أنهم إلى الله لا يرجعون وعلى أعمالهم لا يحاسبون ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾(١).

العدل ليس ميزانا يحكم العلاقة بين الأحياء فهو ايضا ميزان يحدد طبيعة العلاقة بين الإنسان والطبيعة وحسبك قول الله تبارك وتعالى ﴿**ظهر الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾(٢).

يقول السيد محمد باقر الصدر: كلما جسدت علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان العدالة وأن تستوعب قيم هذه العدالة وأن تبتعد عن أي لون من ألوان الظلم والاستغلال من الإنسان لأخيه الإنسان، كلما ازدهرت علاقات الإنسان مع الطبيعة وتفتحت الطبيعة عن كنوزها، وأعطت المخبوء من ثرواتها ونزلت البركات من السماء، وتفجرت الأرض بالنعمة والرخاء.

هذه هي العلاقة الّتي شرحها القرآن الكريم في نصوص عديدة قال سبحانه وتعالى ﴿**وَأَنْ لَو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا**

---

(١) سبأ ٤٨-٤٩.

(٢) الروم ٤١.

صَعَدًا﴾[1]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[2]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3].

العلاقة بين الإنسان مع الطبيعة تتناسب طردياً مع ازدهار العدالة في علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان، فكلما ازدهرت العدالة في علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان اكثر فأكثر، ازدهرت علاقات الإنسان مع الطبيعة، وكلما انحسرت العدالة عن الخط الأول انحسر الازدهار عن الخط الثاني، أي إن مجتمع العدل هو الّذي يصنع الازدهار في علاقات الإنسان مع الطبيعة، ومجتمع الظلم هو الّذي يؤدي إلى انحسار علاقات الإنسان مع الطبيعة.

كلما اتسمت العلاقات داخل أي مجتمع بالعدل انعكس هذا على العلاقة بين الإنسان والكون المحيط به، في البر والبحر والسماء (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس)..

أيضا فالابتلاءات الّتي تتعرض لها الأمم تنقسم إلى نوعين:

---

(١) الجن ١٦-١٧.

(٢) المائدة ٦٦.

(٣) الأعراف ٩٦.

أولها: يعد امتحانا واختبارا لمدى صلابة الإيمان واليقين بصدق الوعد في العدالة الإلهية والحتمية القاضية بالاقتصاص للمظلوم من ظالمه وإن طال الزمان ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[1]، **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾**[2]، حيث يصبر المؤمنون ويصمدون ويبقون على ذات الدرب إيمانا منهم بصدق الوعد وحتمية تحقيقه مهما كانت الصعاب.

أما النوع الثاني من البلاء فيكون قصاصا إلهيا ينزله الله بالظالمين عقابا لهم على ما قدمت أيديهم **﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾**[3].

في كلتا الحالتين فالإيمان بالعدل الإلهي يعد مكونا أساسيا من مكونات عقيدة المؤمن المجاهد بنفسه وعلمه وماله في سبيل الله يعينه على مواصلة المسير ويمنحه القدرة والصبر وثوقا بوعد الله الّذي لا يخلف وعده وهو أصدق القائلين.

الإيمان بالعدل الإلهي وحتمية إنزال القصاص والانتقام الإلهي من الظالمين مهما طال الزمن يحول بين المؤمن المعتقد وبين اليأس من روح الله

---

(١) غافر ٥١.

(٢) الروم ٦٠.

(٣) البقرة ١٨٢.

﴿وَلَا تَاْيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَاْيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(١).

الإيمان بالعدل الإلهي إيمان بالحضور الإلهي والمشاهدة الإلهية وإن طال زمن تحقق الوعد، عكس القنوط واليأس والاستسلام الّذي يعني أن صاحبه لا يرى لهذا الكون ربا يدبره ويحركه ويحمي أهل الحق أو يتشكك في هذا الوجود الإلهي في صورته الأكمل والأشمل.

الإيمان بالعدل الإلهي يعني أن صاحبه يرى قدرة الله ويرى التدبير الإلهي في كل حركات وسكنات الكون، كما يقول مولانا الإمام الحسين في دعائه يوم عرفة (**أَنْتَ الَّذى تَعَرَّفْتَ الَىَّ فى كُلِّ شَىء، فَرَاَيْتُكَ ظاهِراً فى كُلِّ شَىء، وَاَنْتَ الظّاهِرُ لِكُلِّ شَىء**).

القدرة الإلهية تدبر الكون وتدير ذراته وتحكم السيطرة على حركاته وسكناته فتملي للظالم حتى إذا أخذته لم تفلته، وربما أخرت النصر عن المظلوم حتى حين، ليكتمل التمحيص والابتلاء إلى أن يأتي اليوم المعلوم فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾(٢)، ﴿**وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ**﴾ (٣)، {**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا**

---

(١) يوسف ٨٧.

(٢) سورة محمد ٤.

(٣) هود ١٠٤.

تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١)، ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(٢).

العدل هو جوهر التصور الإسلامي عقيديا وفكريا وأخلاقيا وسياسيا، وهو ليس قيمة منفصلة يمكن حصرها وإفرادها في كتب الكلام أو بعيدا عن الواقع العملي والتاريخي والمستقبلي ومن دون الاعتقاد بالعدل يصبح الحديث عن مشروع إسلامي يجري تبنيه من قبل حركات أو جماعات أو أحزاب تدعي الانتماء للدين مجرد هذيانات يطنطن بها فريق من المنشدين المتمسحين بالدين من أجل لقمة العيش لا أكثر ولا أقل.

الإيمان بالعدل كمعتقد أسس ويؤسس لإسلام ثوري يرفض التدجين والخضوع لقوى الأمر الواقع الّتي وجدت لها دائما أبدا سندا وظهيرا في الاعتقاد بالجبر والإرجاء وخلق أفعال العباد.

---

(١) النحل ٦١.

(٢) يوسف ١١٠.

الجبر والاختيار

يسَأَل أحد المسلمين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: أَكَانَ مَسِيرُنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَاءٍ مِنَ اللهِّ وَقَدَرٍ؟! فيرد الإمام بقوله:

«وَيْحَكَ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِماً وَقَدَراً حَاتِماً لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً وَكَلَّفَ يَسِيراً وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِباً وَلَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً وَلَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ»[1].

الرواية ذاتها أوردها شارح نهج البلاغة عن كتاب الغرر نقلا عن الأصبغ بن نباته قال: قام شيخ إلى علي عليه السلام فقال أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره فقال والذي فلق الحبه وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا إلا بقضاء الله وقدره فقال الشيخ فعند الله أحتسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئا فقال مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين فقال الشيخ

---

(١) نهج البلاغة من كلمات الإمام علي عليه السلام ٧٨.

وكيف القضاء والقدر ساقانا فقال ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسيء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عباد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله سبحانه أمر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الّذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما فقال هو الأمر من الله والحكم ثم تلا قوله سبحانه (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول:

أنت الإمام الذى نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك عنا فيه إحسانا

يقول الشيخ المفيد في (تصحيح الاعتقاد): القضاء معروف في اللغة وعليه شواهد من القرآن، وهو على أربعة أضرب: أحدها: الخلق، والثاني: الأمر، والثالث: الإعلام، والرابع: القضاء في الفصل بالحكم. فأما القضاء بمعنى الخلق فقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**

وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[١]، يعنى خلقهن سبع سموات في يومين.

وأما القضاء بمعنى الأمر فقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢]، يريد أمر ربك.

وأما القضاء بمعنى الإعلام فقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٣]، يعني أعلمناهم ذلك وأخبرناهم به قبل كونه.

وأما القضاء بمعنى الفصل بالحكم بين الخلق فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾[٤]، يعني يفصل بالحكم بالحق بين الخلق وقوله: ﴿وقضي بينهم بالحق﴾[٥]، يريد وحكم بينهم بالحق، وفصل بينهم بالحق.

وقيل إن للقضاء وجها خامسا هو الفراغ من الأمر، واستشهد على ذلك بقول يوسف عليه السلام: (قضي الأمر الّذي فيه تستفتيان) يعني فرغ منه، وهذا يرجع إلى معنى الخلق.

وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبرة أن الله تعالى

---

(١) سورة الدخان ١١-١٢.

(٢) الإسراء ٢٣.

(٣) الإسراء ٤.

(٤) غافر ٢٠.

(٥) يونس ٥٤.

قضى بالمعصية على خلقه، لانه لا يخلو إما أن يكونـوا يريـدون بـه أن الله خلق العصيان في خلقه، فكان يجب أن يقولوا قضى في خلقـه بالعـصيان ولا يقولوا قضى عليهم، لان الخلق فيهم لا عليهم، مـع أن الله تعـالى قـد أكذب من زعم أنه خلق المعاصي لقوله سـبحانه: ﴿**الَّذي أَحْـسَنَ كُـلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ منْ طِينٍ**﴾[1]، فنفى عن خلقـه القـبح وأوجب له الحسن، والمعاصي قبـائح بالاتفـاق ولا وجـه لقـولهم قـضى بالمعاصي على معنى أنه أمر بها، لأنه تعالى قد أكذب مدعي ذلـك بقولـه: ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2].

والوجه عندنا في القضاء والقـدر بعـد الّـذي بينـاه في معنـاه أن لله تعالى في خلقه قضاء وقدرا وفي أفعالهم أيضا قضاء وقدرا معلوما ويكون المراد بذلك أنه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها وفي أفعالهم القبيحـة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالايجاد له، والقدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقه وموضعه، وفي أفعال عباده ما قـضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب، لأن ذلك كلـه واقـع موقعـه، موضوع في مكانه لم يقع عبثا ولم يصنع باطلا، فإذا فسر القضاء في أفعـال الله تعالى والقدر بما شرحناه زالت الشنعة منه، وثبتت الحجة به، ووضح

---

(١) سورة السجدة ٧.

(٢) الأعراف ٢٨.

الحق فيه لذوي العقول، ولم يلحقه فساد ولا إخلال .

الإنسان إذاً كائن مسؤول والمسؤولية محلها الذات الإنسانية وأداتها الإرادة الّتي تحرك صاحبها إما لأداء الفعل أو للامتناع عن أدائه.

الإرادة الإنسانية لا تعمل ولا تحدث أثرها في فراغ، فهناك إرادات أخرى إلهية أو إنسانية أو حتى طبيعية ربما كانت موافقة أو معارضة أو محايدة تؤثر في الفعل البشري فتمنع أو تسهل حدوثه.

تذكرون المعلق الكروي الّذي كان يسهب في تحليل العوامل الجوية الّتي تؤثر في أداء اللاعبين ومن ثم في نتيجة المباراة فالشمس تارة تعمي عين حارس المرمى وتمنعه من متابعة الكرة بدقة والريح معنا أو ضدنا، فالنتيجة إذاً لا تتوقف على أداء لاعبي فريق واحد بل على أداء الفريقين وعلى عوامل أخرى غير مرئية في الملعب.

هذا في ساحة كرة القدم! فما بالك بمسرح الحياة الواسع متعدد الأطراف وهي ساحة جد وامتحان كبير ليست بالهزل، نهايتها الجنة أو النار، ساحة الصراع الكوني الكبير بين الحق والباطل.

عندما يقول سبحانه ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾[١]، نعرف أن يد القدرة الإلهية حاضرة وفاعلة في هذا الصراع الكبير وأن الجهد الإنساني مهما بلغ شأوه ليس كافيا لحسم الصراع رغم كونه محل الصراع ولأن الصراع لا

(١) الأنبياء ١٨.

يجري في فراغ، بل يتعين أن يكون هناك بشر منتصر وبشر مهزوم كي يمكن تسجيل النتيجة في أرض الواقع لصالح هذا أو لغير صالح ذاك.

ولأن الصراع صراع حقيقي وليس ملهاة تمثيلية فقد أمر الله **﴿عِبَادَهُ تَخْيِيراً وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً وَكَلَّفَ يَسِيراً وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِباً وَلَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً وَلَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾**.

أما السر الأكبر وراء خلق الكون وبدء هذا الصراع واستمراره ووقت انتهاءه ولماذا خُلقنا نحن ولم يخلق غيرنا ولماذا خلقنا الله تبارك وتعالى في هذا العصر فكان هناك من سبقنا وهناك من سيلحق بنا ولماذا تأخر النصر إلى وقت معلوم فكلها أسرار لا يعلمها إلا الله والأمر كما ذكر الشيخ الصدوق في اعتقاداته: قال أمير المؤمنين في القدر: "ألا إنّ القدر سرّ من سرّ الله"، وستر من ستر الله، وحرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مطوي عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله عن العباد علمه ورفعه فوق شهاداتهم، لأنّهم لا ينالونه بحقيقته الربّانية، ولا بقدرته الصمدانية ولا بعظمته النورانيّة، ولا بعزته الوحدانية لأنه بحر زاخر مواج خالص لله تعالى، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، يعلو مرّة ويسفل أُخرى، في قعره شمس تضيء لا

ينبغي أن يطلّع إليها إلا الواحد الفرد، فمن تطلّع عليها فقد ضاد الله في حكمه، ونازعه في سلطانه، وكشف عن سره وستره، وباء بغضب من الله، (ومأواه جهنم وبئس المصير)[١].

بعض هذه الأسرار أعلم الله بها خاصة أوليائه، ممن حملوا من العلم والحكمة ما لو حملته الجبال لتدكدكت ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآَنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[٢].

يروي القمي في تفسير قوله تعالى ﴿**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[٣]، قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: ألم يكن علي قويا في بدنه قويا في أمر الله؟ قال له ابو عبد الله ع: بلى! قال له: فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: قد سألت فافهم الجواب، منع عليا من

---

(١) التّوحيد للصدوق ج١ ص٣٨٣-٣٨٤.

(٢) الرعد ٣١.

(٣) سورة الفتح ٢٥.

ذلك آية من كتاب الله، فقال: وأي آية؟ فقرأ "لو تزيلوا لعذبنا الّذين كفروا منهم عذابا أليما" إنه كان لله ودايع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودايع فلما خرج ظهر على من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لم يظهر أبدا حتى تخرج ودايع الله فاذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله.

التأمل في القدر الإلهي يرتبط بقدر الحكمة الّتي يتمتع بها الإنسان وكلما ارتقى الإنسان في مدارج العلم والحكمة الإلهية وصولا إلى أعلى مراتب الحكمة وصولا لمرتبة الأولياء الأصفياء امتد الأفق واتسعت الرؤية وشتان بين من كان همه أكله وشربه وشهوته ومن كان همه إبلاغ رسالات الله ﴿**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[١].

الّذين يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام، لا يهتمون بغير شهواتهم، والنار مثوى لهم وهؤلاء يفسرون القضاء الإلهي وفقا لمقتضى حالهم وأبدا ليس وفقا لمقتضيات تحمل عبء الرسالة السماوية الّتي كرم الإنسان وفضل على العالمين بحملها ﴿**فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ**﴾[٢].

---

(١) الأعراف ١٤٤

(٢) الفجر ١٥-١٦.

لا عجب أن يكرم الله أنبياءه وخاصة أوليائه وأن يعرفهم بعلم ما كان وما سيكون لأنهم حُملوا الأمانة الّتي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، ولذا كانت تصرفات وأفعال ائمة أهل بيت النبي مضبوطة بهذا الضابط.

كلما علا الشان وارتفع المكان اتسعت الرؤية بسعة الزمان، ما كان وما هو كائن، ليتجاوز مفهوم القضاء ما ذكره الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد ويدخل فيه التدبير الإلهي لمصائر الأمم والجماعات واصطفاف هؤلاء وهؤلاء إن في معسكر الحق المنصور بتدبير الله ومكره لعباده الصالحين ومكره بالمجرمين المتمردين على أمره ونهيه (إنا من المجرمين منتقمون)، ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[1]، ولم يقل سبحانه وتعالى بعد عام أو عامين أو بعد قرون.

التدبير والمكر الإلهي داخل في القضاء الإلهي وحاكم على مسار الصراع بين الحق والباطل وبين الأنبياء والأوصياء من جهة وأعداء الملائكة والأنبياء الّذين هم ذاتهم أعداء الأوصياء امتداد شجرة الأنبياء.

في كل هذه الأحوال ليس للإنسان إلا ما سعى ولا يفوتنك أن القضاء والقدر محكوم بقاعدة العدل الإلهي الّذي هو الميزان الضابط

---

(١) النمل ٥٠-٥١.

والقسطاس المستقيم، فالقدر والتدبير يرسم المسار والعدل يرسم المصير في الدنيا ويوم التناد يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴿**يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[١].

كفر صاحب الكبيرة

إنها إحدى أخطر القضايا الّتي ثار حولها الجدل والّتي سفك بموجبها دماء الملايين من أهل القبلة ممن جرى وصفهم بالكفر لاعتبارهم من أهل الكبائر!!

يقول تعالى ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**﴾[٢].

يقول القرطبي في تفسيره: وقال ابن عباس : الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. وقال ابن مسعود : الكبائر ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى ثلاث وثلاثين آية ؛ وتصديقه قوله تعالى : ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾. وقال طاوس: قيل لابن عباس الكبائر سبع؟ قال : هي إلى السبعين أقرب. وقال سعيد بن جبير: قال رجل لابن عباس الكبائر سبع؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع؛ غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار. وروي عن

---

(١) الدخان ٤١.

(٢) النساء ٣١.

ابن مسعود أنه قال: الكبائر أربعة: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، والشرك بالله؛ دل عليها القرآن. وروي عن ابن عمر : هي تسع: قتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، ورمي المحصنة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، والسحر ، والإلحاد في البيت الحرام. ومن الكبائر عند العلماء: القمار والسرقة وشرب الخمر وسب السلف الصالح وعدول الحكام عن الحق واتباع الهوى واليمين الفاجرة والقنوط من رحمة الله وسب الإنسان أبويه - بأن يسب رجلا فيسب ذلك الرجل أبويه - والسعي في الأرض فسادا؛ إلى غير ذلك مما يكثر تعداده حسب ما جاء بيانها في القرآن، وفي أحاديث خرجها الأئمة، وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان منها جملة وافرة. وقد اختلف الناس في تعدادها وحصرها لاختلاف الآثار فيها؛ والّذي أقول: إنه قد جاءت فيها أحاديث كثيرة صحاح وحسان لم يقصد بها الحصر، ولكن بعضها أكبر من بعض بالنسبة إلى ما يكثر ضرره، فالشرك أكبر ذلك كله، وهو الّذي لا يغفر لنص الله تعالى على ذلك، وبعده اليأس من رحمة الله؛ لأن فيه تكذيب القرآن؛ إذ يقول وقوله الحق: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ وهو يقول: لا يغفر له؛ فقد حجّر واسعا. هذا إذا كان معتقدا لذلك؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾. وبعده القنوط؛ قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾. وبعده الأمن من مكر الله فيسترسل في المعاصي ويتكل على رحمة الله من غير عمل ؛ قال الله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّه فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّه إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وبعده القتل؛ لأن فيه إذهاب النفوس وإعدام الوجود، واللواط فيه قطع النسل، والزنى فيه اختلاط الأنساب بالمياه، والخمر فيه ذهاب العقل الّذي هو مناط التكليف، وترك الصلاة والأذان فيه ترك إظهار شعائر الإسلام وشهادة الزور فيها استباحة الدماء والفروج والأموال، إلى غير ذلك مما هو بين الضرر؛ فكل ذنب عظم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده، أو عظم ضرره في الوجود كما ذكرنا فهو كبيرة وما عداه صغيرة. فهذا يربط لك هذا الباب ويضبطه، والله أعلم.

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في الكافي ج٢ قال: الكبائر سبعة: منها قتل النفس متعمدا، والشرك بالله العظيم، وقذف المحصنة وأكل الربا بعد البينة، والفرار من الزحف والتعرّب بعد الهجرة وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلما. قال: والتعرّب والشرك واحد[1].

حسنا، هذه هي كبائر الذنوب وهي سبعة ربما بلغت سبعين وربما بلغت سبعمائة!!.

ليس الخلاف حول إذا ما كانت هذه الذنوب من الكبائر أم لا!! ولكن من الّذي حكم بأن مرتكب الكبيرة كافر، من ناحية الأصل الشرعي فما بالك بتنزيل حكم الكفر على زيد أو عمرو؟!

(١) الكافى للكليني - ط دار الحديث - ج٣ ص٦٩٤.

طبعا نحن لا نتحدث عن حقيقة إيمان الزناة أو اللصوص ولا نستبعد أن يكون مرتكب الكبائر هو من الكفار الزنادقة ولكن السؤال هو: من الّذي يملك أن يصدر على هؤلاء حكم الكفر ويخرجهم من دائرة الملة الإسلامية خاصة ونحن نعرف أن حكم الكفر يعني عند البعض استباحة الدماء والأموال والأعراض!!.

يروي الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام ردا على سؤال أحد أصحابه: يزني الزاني وهو مؤمن؟ قال: لا إذا كان على بطنها سلب الايمان منه فإذا قام رد عليه، قلت: فانه أراد أن يعود؟ قال: ما أكثر ما يهم أن يعود ثم لا يعود[1].

بديهي أننا لسنا معنيين بتبييض وجوه هؤلاء العصاة الزناة فما بالك بالقتلة المجرمين أو الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أو منحهم صكوكا للغفران وكل ما هنالك أننا نقرر قاعدة قرآنية ليست من اختراعنا وهي أن مقاومة الظلم والفساد ومعاقبة المجرمين القتلة أيا كان جرمهم لا يتوقف على اعتبارهم كفارا من عدمه!!

بديهي أيضا أن النقاش حول ما إذا كان مرتكبي الكبائر هم كفار أم غير ذلك لا يتعلق بيوم القيامة يوم العرض على الله عز وجل ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ**﴾[2]، والأمر يومئذ لله لا للمعتزلة ولا الأشاعرة ولا غيرهم، بل يتعلق بواقع المسلمين حيث

(١) الكافي للكليني - ط دار الحديث - ج٣ ص٦٩٣.

(٢) الطارق ٩-١٠.

انبرى فريق من السفهاء لتوزيع رتب الإيمان ونياشين الكفر وفتاوى استحلال الدم بموجب قرار يتكون من كلمة واحدة ذات ثلاثة أحرف (كفر: كافر)!!

ترى لو كشف لنا الغطاء عن حقيقة مرتكبي الكبائر وربما عن حقيقة غيرهم من أدعياء الورع والزهادة كم تبلغ نسبة المؤمنين الحقيقيين بين المسلمين؟!.

هل يكفي عندها عدد المؤمنين الحقيقيين الّذين انعقد قلبهم على الإيمان الخالص لمعاقبة أو ملاحقة من انعقد قلبهم على الكفرالخالص؟!.

لا أظن!!!

وكما يقول سبحانه ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ**﴾[1].

السؤال التالي: لنفترض أن مرتكبي الكبيرة هم من الكفار فعلا، فمن ذا الّذي يملك حق محاكمتهم وإدانتهم وتنفيذ الحكم بإبادتهم ومحوهم من الوجود، هل هو ابن تيميه أم أيمن الظواهري أم أسامة بن لادن؟!.

الجواب: لو كان هذا الحق ممنوحا لأحد من البشر لمنح لرسولنا ص ولكن التاريخ ينفي تماما وجود شيء كهذا ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ**

---

(١) المائدة ١٠١-١٠٢.

شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1].

من الناحية التاريخية * دار الخلاف بين الشيوخ حول مرتكب الكبيرة وهل هو (كافر كفرا يخرج به عن الملة وهم الخوارج) ومن يرى أن (الكبيرة لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة)، وهو خلاف تمثلت خطورته في أن الخوارج أو التكفيريين القدامى كما المعاصرين اتخذوا من التكفير سلما يعتلون به رقاب المسلمين ويجزونها بالسيف، في حين شهد الآخرون من وعاظ السلاطين لسادتهم المجرمين بالإسلام والإيمان تطييبا لخواطرهم وتثبيتا لملكهم!!

يروي الشريف الرضي في نهج البلاغة عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن رجلا قام إليه فقال (أخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله ص فقال عليه السلام إنه لما أنزل الله سبحانه قوله تعالى «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله بها فقال يا علي إن أمتي سيفتنون بعدي فقلت يا رسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر وقال يا علي إن القوم سيفتنون بعدي بأموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته

(١) الكهف ٢٩.

ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت يا رسول الله بأي المنازل أنزلهم عند ذلك أبمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟؟ قال بل بمنزلة فتنة[١].

الّذي نخلص إليه أن الإيمان والكفر هو عمل قلبي بحت وأن الارتكاب العلني للكبائر تستوجب عقابا من السلطة الحاكمة، على الفعل حال ثبوته بالدليل الجنائي، ويكون العقاب بسبب الجرم لا بسبب الكفر أو الإيمان.

قضية الذات والصفات

قلنا منذ البدء أن المصائب الّتي نزلت بهذه الأمة نجمت أولا وثانيا وثالثا بسبب إعراضها عن أئمة أهل البيت واستبدالها للذي هو أدنى بالّذي هو خير لا فارق بينهم وبين الّذين ضلوا من قبل.

﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[٢].

﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ**

(١) نهج البلاغة لمحمد عبده - ط مطبعة الإستقامة - ج٢ ص٦٤-٦٥.

(٢) المائدة ٧٧.

يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[١].

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.[٢]

استبدل أولئك الّذين ظلموا أنفسهم الّذي هو أدنى بالّذي هو خير وبدلوا قولا غير الّذي قيل لهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله وها هو الرجز يتوالى عليهم من السماء بما كانوا يظلمون، فلا هم تابوا وأنابوا وهم إلى رشدهم وصوابهم لا يرجعون.

لماذا أعرضوا عن أئمة أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ولماذا استبدلوا من ذكرناهم من أنصاف العلماء بإمام المتقين وسيد الوصيين (كأنهم لا يعلمون) رغم أنه سلام الله عليهم قد وضح وبين وشرح وأجمل وفصل أمورا لم يدّعِ علمها ولا معرفتها أحد

(١) البقرة ٦١.

(٢) الأعراف ١٦١-١٦٢.

من الأولين الّذين يزعمون أنهم إليهم يرجعون وبفهمهم وعلمهم يقتدون؟!.

مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام العقائدية

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لَا يَبْلُغُ مدْحَتَهُ الْقَائلُونَ ولَا يُحْصي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ ولَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهدُونَ الَّذي لَا يُدْركُهُ بُعْدُ الْهمَم ولَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفطَن الَّذي لَيْسَ لصفَته حَدٌّ مَحْدُودٌ ولَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ ولَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ ولَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائقَ بقُدْرَته ونَشَرَ الرِّيَاحَ برَحْمَته ووَتَّدَ بالصُّخُور مَيَدَانَ أَرْضه.

أَوَّلُ الدِّين مَعْرفَتُهُ وكَمَالُ مَعْرفَته التَّصْديقُ به وكَمَالُ التَّصْديق به تَوْحيدُهُ

وكَمَالُ تَوْحيده الْإخْلَاصُ لَهُ

وكَمَالُ الْإخْلَاص لَهُ نَفْيُ الصِّفَات عَنْهُ

لشَهَادَة كُلِّ صفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوف وشَهَادَة كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَة

فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ومَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ومَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ومَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهلَهُ ومَنْ جَهلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إلَيْه ومَنْ أَشَارَ إلَيْه فَقَدْ حَدَّهُ ومَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ومَنْ قَالَ فيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ ومَنْ قَالَ عَلامَ فَقَدْ أَخْلَى منْهُ

كَائنٌ لَا عَنْ حَدَث مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بمُقَارَنَةٍ وغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بمُزَايَلَةٍ فَاعلٌ لَا بمَعْنَى الْحَرَكَات والْآلَة

بَصيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْه مِنْ خَلْقه مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِه وَلَا يَسْتَوْحِشُ لفَقْده[1].

ومعنى قول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام **(لشَهَادَة كُلِّ صِفَة أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوف وَشَهَادَة كُلِّ مَوْصُوف أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَة)** أن الصفة والموصوف إما أن يكونا مخلوقين، فتكون الصفة محتاجة إلى الموصوف لقيامها به، والموصوف محتاج إلى الصفة في كماله، والصفة غيره، وكل محتاج إلى الغير ممكن، فلا يكون شيء منهما (الصفة والموصوف واجباً)، وهكذا المركب منهما لتركبه من ممكنين، فثبت احتياجهما إلى علة ثالثة لا تكون موصوفاً ولا صفة، وإلا لعاد المحذور.

وتقرير آخر: إن الموصوف متقدم على الصفة العارضة له، ومن كان محدث الصفات تكون ذاته محدثة.

الخالق عز وجل (واجب الوجود) هو الموصوف والصفة الزائدة عن الذات إما أن تكون (واجبة الوجود) وعندها يصح القول بوجود إلهين قديمين و﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[2]، أما الاحتمال الثاني فهو أن الله تبارك وتعالى عما يقول الكافرون علوا كبير جعل معه إلها آخر ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا**

---

(١) نهج البلاغة لمحمد عبده ـ ط مطبعة الإستقامة ـ ج١ ص٨-٩.

(٢) الأنبياء ٢٢.

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(١)].

لهذا لزم القول بأن صفات الكمال والجلال الّتي وصف الله به تبارك وتعالى نفسه هي عين الذات وليست زائدة عليها، فما بالك بتلك الصفات الّتي أثبتها أولئك المتطفلون على العلم والدين مثل العين والسمع والبصر وتلك الّتي أشار إليها ابن أبي الحديد في شرح النهج أو الشهرستاني في الملل والنحل نقلا عن هؤلاء الحمقى.

قال الشيخ المفيد رَحِمَهُ اللهُ في (تصحيح الاعتقاد): صفات الله تعالى على ضربين: أحدهما: منسوب إلى الذات، فيقال: صفات الذات. وثانيهما: منسوب إلى الأفعال، فيقال: صفات الأفعال، والمعنى في قولنا صفات الذات: أن الذات مستحقة لمعناها استحقاقا لازما لا لمعنى سواها، ومعنى صفات الأفعال: هو أنها تجب بوجود الفعل ولا تجب قبل وجوده، فصفات الذات لله تعالى هي وصفه بأنه حي، قادر، عالم ألا ترى أنه لم يزل مستحقا لهذه الصفات ولا يزال. ووصفنا له تعالى بصفات الافعال كقولنا خالق، رازق، محيي، مميت، مبدئ، معيد، ألا ترى أنه قبل خلقه الخلق لا يصح وصفه بأنه خالق وقبل إحيائه الاموات لا يقال إنه محيي.

والفرق بين صفات الافعال وصفات الذات: أن صفات الذات لا يصح الوصف بأضدادها ولا خلوه منها، وأوصاف الافعال يصح

---

(١) المؤمنون ٩١.

الوصف لمستحقها بأضدادها وخروجه عنها، ألا ترى أنه لا يصح وصف الله تعالى بأنه يموت، ولا بأنه يعجز، ولا بأنه يجهل ولا يصح الوصف له بالخروج عن كونه حيا عالما قادرا، ويصح الوصف بأنه غير خالق اليوم، ولا رازق لزيد، ولا محيي لميت بعينه، ولامبدئ لشيء في هذه الحال، ولا معيد له. ويصح الوصف له - جل وعز - بأنه يرزق ويمنع ويحيي ويميت ويبدئ ويعيد ويوجد ويعدم، فثبتت العبرة في أوصاف الذات وأوصاف الافعال، والفرق بينهما ما ذكرناه.

أما الشيخ الجليل محمد رضا المظفر صاحب (عقائد الإمامية) فيقول تحت عنوان: عقيدتنا في صفاته تعالى: ونعتقد: أنّ من صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكمالية الّتي تسمى بصفات الجمال والكمال ـ كالعلم، والقدرة، والغنى، والإرادة، والحياة ـ هي كلّها عين ذاته، ليست هي صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلّا وجود الذات؛ فقدرته من حيث الوجود حياته، وحياته قدرته، بل هو قادر من حيث هو حي، وحي من حيث هو قادر، لا اثنينية في صفاته ووجودها، وهكذا الحال في سائر صفاته الكماليّة.

نعم هي مختلفة في معانيها ومفاهيمها لا في حقائقها ووجوداتها؛ لأنّه لو كانت مختلفة في الوجود ـ وهي بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات ـ للزم تعدّد واجب الوجود، ولانثلمت الوحدة الحقيقية، وهذا ما ينافي عقيدة التوحيد.

وأمّا الصفات الثبوتية الإضافية ـ كالخالقية والرازقية، والتقدّم،

والعلّية فترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية، وهي القيّومية.

الّذي نخلص إليه أن (الصفات) الّتي يجري الحديث عنها نوعان:

النوع الأول هي صفات الذات الّتي تحدث عنها كتاب الله عز وجل، أما النوع الثاني: فهو صفات مزعومة ألصقت بالذات الإلهية زورا وبهتانا كتلك الّتي استند في إلصاقها بروايات مختلقة ومكذوبة مثل الساق والرجل، ورغم ذلك فقد أصر (شيوخ العقيدة) على نسبتها لله عز وجل تنزيها للرواة والمحدثين عن اتهامهم بالجهل أو بالكذب أو بالتمالئ على الكذب، وليس تنزيها للذات الإلهية.

النوع الأول من الصفات هي عين الذات (سميعا بصيرا عليما حليما) إلى آخر هذه الصفات الثابتة في كتاب الله عز وجل، ولا يقال هي زائدة عن الذات ولا يجدي التمحك بأنها لا هي عين الذات ولا غيرها كما زعم الأشعري القائل (الباري تعالى: عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وهي صفات أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال: هي هو ولا: هي غيره ولا: لا هو ولا: لا غيره).

يكفي الأشعري هذه الباء الّتي ألحقها بالصفة أو أن يقول حي بحياة أو عالم بعلم ليثبت أن الحياة أو العلم هي صفة ملحقة أو زائدة عن الذات الإلهية ولا معنى بعد ذلك لتلك السفسطة الفارغة (لا يقال هي هو ولا هي غيره)، فليس هناك سوى احتمالين: إما أن تكون الصفات هي عين الذات أو تكون ملحقة وزائدة عليها، أما الاحتمال

الثالث الّذي يتحدث عنه الأشعري فهو والعدم سواء.

أما من الناحية التفصيلية فيلزمنا العودة إلى كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فَمَنْ وَصَفَ اللهَّ سُبْحَانَهُ (بصفات زائدة عن الذات)، مثل القول حي بحياة أو عالم بعلم فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ (في جهة أو مكان أو حيز) وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْه فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قَالَ عَلامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.

والمعنى هو حتمية تنزيه الله عز وجل عن الحيز والمكان والجهة فضلا عن تنزيهه عن التجزئة والتثنية ومن باب أولى التثليث!!

أرنا الله جهرة!!

قلنا منذ البدء أننا سنحاول تقديم رؤية معاصرة لمسألة العقيدة وهي من أعظم وأهم أركان هذا الدين العظيم.

حينما نتحدث عن رؤية معاصرة فهذا لا يعني بالقطع عقيدة جديدة أو اختراع أسس وركائز لم يسبق إليها أحد من الأولين، فالعكس هو الصحيح وهو أننا نسعى لرد الأمور لنصابها واستعادة الأمة مسارها صراط الله المستقيم الّذي أضاعته وتنكبته واتبعت السبل فتفرقت عن سبيل الله.

القراءة المعاصرة تعني جمع ما تفرق ولملمة ما تبعثر والعودة إلى الأصول الّتي تاه عنها الحائرون.

قلنا من قبل أن بعض حديثي العهد بالإسلام ممن لم ينعقد قلبه على الإيمان بالغيب أو ما وراء المشهود كان يتطلع لرؤية الباري عز وجل وأن هذه الرغبة في الإيمان بإله محسوس دفعتهم للمطالبة برؤيته سبحانه وتعالى وأن ما حكاه كتاب الله عز وجل عن بني إسرائيل كرره وأعاده بعض المنتمين لهذا الدين وأن هذا الشوق إلى المحسوس شكل دافعا (لاقتباس) بعض النصوص التجسيدية من التوراة ووضعها داخل البناء الفكري الإسلامي وهو ما أشرنا لبعض نماذجه (خلق الله آدم على صورته).

لم يكن إذاً ما حكاه الله عز وجل في محكم كتابه عن أوهام اليهود بتجسيد الإله، تارة عبر اتخاذهم العجل أولا ثم طلبهم من موسى عليه السلام رؤية الله جهرة ثانية كما ورد في الآيات التالية.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾[1].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ

(١) النساء ١٥٣.

تَنْظُرُونَ﴾[١].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً﴾[٢].

يسأل ذعلب اليماني الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى، فقال وكيف تراه؟ فقال:

لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ[٣].

ويقول الإمام الحسين بن علي عليه السلام في دعائه يوم عرفة:

وَاَنْتَ الَّذى لا اِلهَ غَيْرُكَ تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيء فَما جَهِلَكَ شَيءٌ، وَاَنْتَ الَّذى تَعَرَّفْتَ اِلَيَّ فى كُلِّ شَيء، فَرَاَيْتُكَ ظاهِراً فى كُلِّ شَيء، وَاَنْتَ الظّاهِرُ لِكُلِّ شَيء، يا مَنِ اسْتَوى بِرَحْمانِيَّتِهِ فَصارَ الْعَرْشُ غَيْباً فى ذاتِهِ، مَحَقْتَ الاْثارَ بِالاْثارِ، وَمَحَوْتَ الاْغْيارَ بِمُحيطاتِ اَفْلاكِ الاَْنْوارِ، يا مَنِ احْتَجَبَ فى سُرادِقاتِ عَرْشِهِ عَنْ

(١) البقرة ٥٤-٥٥.

(٢) الفرقان ٢١.

(٣) نهج البلاغة لمحمد عبده ـ ط مطبعة الإستقامة ـ ج٢ ص١٢٠-١٢١.

اَنْ تُدْرِكَهُ الاَبْصارُ، يا مَنْ تَجَلّى بِكَمالِ بَهآئِه، فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتُهُ مِنْ الاَسْتِواَءِ، كَيْفَ تَخْفى وَاَنْتَ الظّاهِرُ، اَمْ كَيْفَ تَغيبُ وَاَنْتَ الرَّقيبُ الْحاضِرُ، اِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٍ، وَالْحَمْدُ لله وَحْدَهُ(١).

أما عن وصف الله تبارك وتعالى فيروي الشريف الرضي في نهج البلاغة: من خطبة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح وهي من جلائل خطبه عليه السلام:

رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَبَّنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ عِيَاناً لِنَزْدَادَ لَهُ حُبّاً وَبِهِ مَعْرِفَةً فَغَضِبَ وَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَهُوَ مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وآله وقَالَ:

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلاَ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٩٨ ص٢٢٧.

يُحيطُوا به علْماً وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهه رُسُوخاً فَاقْتَصرْ عَلَى ذَلكَ وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّه سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْر عَقْلكَ فَتَكُونَ منَ الْهَالكينَ.

هُوَ الْقَادرُ الَّذي إذَا ارْتَمَت الْأَوْهَامُ لتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَته وَحَاوَلَ الْفكْرُ الْمُبَرَّأُ منْ خَطَرَات الْوَسَاوس أَنْ يَقَعَ عَلَيْه في عَميقَات غُيُوب مَلَكُوته وَتَوَلَّهَت الْقُلُوبُ إلَيْه لتَجْريَ في كَيْفيَّة صفَاته وَغَمَضَتْ مَدَاخلُ الْعُقُول في حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لتَنَاوُل علْم ذَاته رَدَعَهَا وَ هيَ تَجُوبُ مَهَاويَ سُدَف الْغُيُوب مُتَخَلِّصَةً إلَيْه سُبْحَانَهُ فَرَجَعَت إذْ جُبهَتْ مُعْتَرفَةً بأَنَّهُ لَا يُنَالُ بجَوْر الاعْتسَاف كُنْهُ مَعْرفَته وَ لَا تَخْطُرُ ببَال أُولي الرَّوِيَّات خَاطرَةٌ منْ تَقْدير جَلَال عزَّته.

فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بتَبَايُن أَعْضَاء خَلْقكَ وَتَلَاحُم حقَاق مَفَاصلهمُ الْمُحْتَجبَة لتَدْبير حكْمَتكَ لَمْ يَعْقدْ غَيْبَ ضَميره عَلَى مَعْرفَتكَ وَلَمْ يُبَاشرْ قَلْبَهُ الْيَقينُ بأَنَّهُ لَا ندَّ لَكَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابعينَ منَ الْمَتْبُوعينَ إذْ يَقُولُونَ تَاللَّه إنْ كُنَّا لَفي ضَلال مُبين إذْ نُسَوِّيكُمْ برَبِّ الْعالَمينَ كَذَبَ الْعَادلُونَ بكَ إذْ شَبَّهُوكَ بأَصْنَامهمْ وَنَحَلُوكَ حلْيَةَ الْمَخْلُوقينَ بأَوْهَامهمْ وَجَزَّءُوكَ تَجْزئَةَ الْمُجَسَّمَات بخَوَاطرهمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخلْقَة الْمُخْتَلفَة الْقُوَى بقَرَائح عُقُولهمْ وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بشَيْء منْ خَلْقكَ فَقَدْ عَدَلَ بكَ وَ الْعَادلُ بكَ كَافرٌ بمَا تَنَزَّلَتْ به مُحْكَمَاتُ آيَاتكَ وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهدُ

حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً(١).

الحديث إذاً عن رؤية بصرية أو أوصاف تجسيدية للخالق عز وجل في الدنيا رِفَةَ ا أو في الآخرة هي دليل على انتكاسة عقول لَمْ تعْقِـدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِا عَلَى مَعْالله عز وجل وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُا الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَه.

الحديث عن رؤية بصرية وأوهام تجسيدية هي نتاج عقول صغيرة حاولت ومازالت تحاول أن تحتل مواقع كبيرة لم تقرأ القرآن ولم تسع لفهمه وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ تَاللهَّ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ**﴾(٢).

الغاوون الْعَادِلُونَ بالله من أدعياء العلم والدين والإسلام شَبَّهُوه بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوه حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَجَزَّءُوه تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوه عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ الفارغة ومشى وراءهم الغوغاء إلى مصيرهم المحتوم.

---

(١) نهج البلاغة لشريف الرضي ـ ط دار الكتاب اللبناني ـ ج١ ص١٢٥-١٢٧.

(٢) الشعراء ٩١-٩٩.

ونمضي مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يفسر لنا حجم الكارثة الّتي ألحقها الغاوون المنتحلون ما ليس لهم من حق ولا مكانة ولا فضل عندما جلسوا مجلس الراسخين في العلم ليصدوا عن سبيل الله فيقول عليه السلام:

وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً.

من ساوى الله بأحد من خلقه أي شبهه وقرنه بهم فقد عدل بالله أي جعل له عدلا وشبيها أي أنه جعل مع الله إلها آخر ﴿**وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾[1] وهو كافر بأحدية الله عز وجل ووحدانيته.

الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2]، ولم يقل ليس كمثل شيء، ليس فقط لقطع الطريق على من يحاولون تشبيه الخالق بالمخلوقين على سبيل التجزئة بل لبيان أن المطلق الإلهي أو واجب الوجود لَمْ ولا يتَنَاهَ فِي الْعُقُول فَيكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَيكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً،

---

(١) المؤمنون ١١٧.

(٢) الشورى ١١.

أي ذو صورة قابلة للتعديل والتغيير كل حسب هواه.

الّذي لاحظناه في آراء الّذين يتبعون أهواءهم ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[1] أنهم يشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه سواء بإثباتهم لصفات حسية مثل العين واليد أو حتى لصفات معنوية زائدة مثل العلم والحياة، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم لا يشبهون الله بخلقه لا لشيء إلا أنهم يختمون كلامهم (ولكنها ليس مثل عين المخلوقات).

التشبيه إما أن يكون تشبيها إيجابيا أو سلبيا كأن تقول سعد لا يشبه زيد وعندها يمكن أن يكون مثل سعيد ولذا فالتشبيه السلبي داخل في إطار الحظر الّذي أثبتته الآية الكريمة (ليس كمثله كشيء).

هذيانات أهل الزيغ

ننتقل من عموم البحث في الشأن العقائدي إلى شيء من التخصيص حيث تنقل القوم من تخبط إلى تخبط ومن رأي إلى رأي دون سند متصل بأهل الحقيقة أو الراسخين في العلم (**كناقِلِ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِه مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ ، وَ يُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ**).

الآية الكريمة تقول: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ**

---

(١) الأنعام ١٤٤.

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[١].

الراسخون في العلم الّذين يعرفون تأويل ما تشابه من القرآن الكريم هم أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولو تأملنا في الأريحية الّتي جرى ويجري بها توزيع هذه الألقاب على كل من ارتدى عمامة العلم والعلماء لعجبنا كيف اتسعت الأرض لكل هؤلاء وضاقت ذرعا بمن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا!!.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام **(أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى)**[٢].

ولأن للبشر سقف معرفي هو تلك المسافة الشاسعة اللامتناهية بين الإلهي والبشري ولأن الراسخين في العلم علمهم من علم الله عز وجل **﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ**

---

(١) آل عمران ٧-٨.

(٢) نهج البلاغة لشريف الرضي ـ ط دار الكتاب اللبناني ـ ج١ ص٢٠١.

أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(١)، فقد وقف هؤلاء العظماء عند حدهم وتأدبوا مع ربهم كما يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً﴾(٢).

الرسوخ في العلم الإلهي إذًا له وجهان: الوجه الأول هو سعة هذا العلم وبناءه على أسس راسخة لا مكان فيها للهوى أو شهوة النفس، والثاني هو الخضوع والإخبات لله رب العالمين والإقرار له سبحانه وتعالى بأنه مصدر كل علم وهدى وفضل ولولا فضل الله ورحمته لكنا من الضالين المخذولين!!.

ولأن كثيرا ممن تصدوا للشأن العقائدي لا يمتلكون ما يكفي من المؤهلات الّتي تمكنهم من الخوض في هذا الشأن الرفيع فقد دخل أداءهم في الصنف الثاني أي أولئك الّذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

تراهم يفسرون الآية الكريمة **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ**

---

(١) المائدة ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة لشريف الرضي ـ ط دار الكتاب اللبناني ـ ج١ ص١٢٥.

كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾(١)، بأن لله عز وجل تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ساقا ولكنها ليست كسيقان البشر.

والعارفون بلغة العرب يعرفون أن معنى الآية الكريمة الّتي تتحدث عن أهوال يوم القيامة وهو يوم يكشف فيه عن أمر شديد وهول عظيم، وهو الحساب والمداقة على الاعمال، والجزاء على الأفعال **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾**(٢)، وظهور السرائر وانكشاف البواطن، فعبر بالساق عن الشدة، ولذلك قالت العرب فيما عبرت به عن شدة الحرب وصعوبتها (قامت الحرب على ساق)!!

النموذج الآخر للخبط العشوائي والاستدلال المنحرف بآيات الله عز وجل هو زعمهم بإمكانية رؤيته سبحانه وتعالى استنادا للآية **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**(٣)، رغم أن الآية الكريمة تتحدث عن انتظار رحمة الله وإنعاماته وكلمة ناظرة هنا من الانتظار لا من النظر بمعنى الرؤية وهو ما حفل به كتاب الله عز وجل **﴿قَالَ**

(١) سورة القلم ٤٢-٤٣.

(٢) الحج ١-٢.

(٣) القيامة ٢٢-٢٣.

أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[١]، ورغم تأكيد القرآن على استحالة رؤية الإنسان المحدود للخالق العظيم اللا محدود **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٢]، وقوله تعالى **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**[٣].

نموذج آخر أكثر طرافة وبشاعة في ذات الوقت هو النموذج الوهابي الّذي تأسس على مغالطة لغوية تافهة لا قيمة لها ومفادها أن كلمة (يدعون) في القرآن الكريم تعني شيئا واحدا هي الطلب من الله عز وجل وأن هذا المعنى لا يتغير بتغير السياق ولا التركيب اللغوي، في حين أن هذه الكلمة ربما تعني (يزعمون) أو (يدّعون) من الزعم أو الادعاء وليس من الطلب والدعاء.

استدل الشيخ عبد الوهاب على تكفير من اتهمهم بعبادة الصالحين بقوله تعالى **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾**[٤]؛ والمعنى الّذي ذهب إليه أن التوسل بأهل البيت هو طلب ودعاء من غير

---

(١) الأعراف ١٤-١٥.

(٢) الأعراف ١٤٣.

(٣) الأنعام ١٠٣.

(٤) الإسراء ٥٧.

الله (أولئك الّذين يدعون) والأمر كله هو تحريف في تحريف يعقبه غش وتزوير فالّذين يتقربون إلى الله بحب محمد وآل محمد لا يدعونهم وإنما يدعون الله بحقهم وهذا أول الغش والتزوير كما أن كلمة يدعون هنا لا تعني (يطلبون) بل يدّعون أي يسمون ويزعمون ويعظمون ويزعمون أنهم قادة الأمة وأئمتها وهو ما ذكره الراغب الأصفهاني في كتابه مفردات القرآن (الدعاء كالنداء ويستعمل كالتسمية نحو دعوت ابني زيدا أي سميته وقوله تعالى "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا" حثا على تعظيمه وقوله تعالى "لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة" أي ليس له رفعة ولا ذكر ولا تنويه) والمعنى المذكور في سورة الإسراء لا يتعلق بالدعاء أي الطلب من قريب ولا من بعيد بل هو من قبيل التعظيم (أولئك الّذين تعظمون وترفعون وتدعون أنهم قادة الأمة والدعاة إلى الصراط المستقيم هم ممن يتقربون إلى ربهم باتخاذ الوسيلة).

والسؤال هنا: أين ذهبت تلك المؤسسات العلمية والدعوية الّتي تدعي حصرية امتلاكها للعلم والمعرفة والقدرة على تفسير كتاب الله تفسيرا صحيحا لا يحتمل اللبس ولا التأويل، ولماذا لزم هؤلاء الصمت وآثروا السلامة وربما نيل جائزة الصمت الذهبي من الملك السعودي مفسحين المجال واسعا أمام التمدد الوهابي العقائدي وهو الخطوة الأولى الّتي مهدت الطريق للتكفير والإرهاب والقتل؟!

الّذين لزموا الصمت ولم يطالبوا بحق الرد على دعاة التكفير

الوهابي رغم بساطة المسألة يعتبرون أنفسهم هم الراسخون في العلم وينكرون على من هو مثلنا أداءه المهمة الّتي تقاعسوا عن أدائها ورغم ذلك فهم يرون أنهم الأهدى سبيلا وأن دخول الجنة حكر على من رضوا عنه، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

دكتور أحمد راسم النفيس

المنصورة مصر

٢٠١٤/٠٣/٢٤

الإثنين، ٢٣ جمادى الأولى، ١٤٣٥

المؤلفات الفكرية:

١- الطريق إلى مذهب أهل البيت. (طبع)

٢- رحلتي مع الشيعة والتشيع في مصر. (طبع)

٣- على خطى الحسين. (طبع)

٤- المهدي المنتظر و معركة تحرير القدس. (طبع)

٥- الشيعة والثورة (ما بعد استشهاد الإمام الحسين). (طبع)

٦- الجمل و فقه الطابور الخامس. (مخطوط)

٧- التحكيم – قراءة في الفقه التاريخي للأمة الإسلامية. (توجد منه نسخ طرفي طبع)

٨- الجماعات الإسلامية – محاولة استمساخ الأمة الإسلامية. (طبع)

٩- المصريون والتشيع الممنوع (طبع).

١٠- شرح دعاء السَحَر لأبي حمزة الثمالي (مخطوط).

١١- علي بن أبي طالب عليه السلام وأخلاقيات السياسة (طبع).

١٢- المسلمون و الآخر (مخطوط).

١٣- رسالة من أب لابنه (رسالة تربوية) (مخطوط)

١٤- علي بن أبي طالب عليه السلام والعدالة الاجتماعية (مؤتمر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام طهران مارس ٢٠٠١).

١٥- الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين.

١٦- الشيعة والثورة الجزء الثاني.

١٧- الشيعة في العراق. (طبع في مصر).

١٨- مقالات في الفكر والدين والسياسة.

١٩- القرضاوي (وكيل الله أم وكيل بني أمية؟؟!!) ردا على كتابه تاريخنا المفترى عليه. (طبع)

٢٠- الشيعة والتشيع لأهل البيت. (طبع: مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٦)

٢١- الإرهاب لا يمكن أن يكون شيعيا.

٢٢- عندما يحكم العبيد. (طبع)

٢٣- نقض الوهابية. (طبع)

٢٤- النبوة في نهج البلاغة.

٢٥- الشيعة المفترى عليهم.

٢٦- مأساة الحج والأماكن المقدسة.

٢٧- أماكننا المقدسة.. المدنسة.

٢٨- الإمام علي بن أبي طالب مفسرا للقرآن.

٢٩- جهاد الفاطميين في مواجهة الغزو الصليبي.

٣٠- الدولة العثمانية: سليمان القانوني

٣١- الحاكم بأمر الله الفاطمي.

٣٢- الإخوان المسلمون شعب الله المختار.

الفهرس

مقدمة المركز ٣

مقدمة ٥

كيف نعرف الله؟! ٥

الوثنية المؤسسة ١٠

الثالوث الأموي غير المقدس ١٥

الانفصال والانفصام بين علم الكلام والأخلاق ١٧

فوضى عارمة ٢٠

أصل المسألة ٢٣

العقيدة الإلهية في مواجهة العقيدة الوضعية ٢٥

العقيدة وتطورها التاريخي ٢٧

موضوع عقيدة التوحيد ٣٣

الشيخ محمد عبده ٣٤

حقيقة الرسالة والرسل من صلب الموضوع ٣٨

الوضع في العقيدة والوضع في الحديث ٤٠

أحمد بن حنبل ٤١

التوحيد الأشعري ٤٤
من هؤلاء السلف؟!............................ ٤٨
بين الأشاعرة والنصارى ٤٩
الصفات الزائدة على الذات لدى النصارى............................ ٥٠
كيف تسلل التجسيد إلى العقيدة الإسلامية؟! ٦٠
الأشعري ومسئولية العباد عن أفعالهم ٦٩
الجبر والإرجاء ٦٩
جريمة القول بالإرجاء ٧٥
الثنوية الوهابية التيموية!!! ٧٨
التوحيد عند الشيخ محمد عبده............................ ٨٠
أولا: الأدلة العقلية ٨١
الممكن والواجب............................ ٨١
أحكام واجب الوجود: القدم والبقاء ونفي التركيب ٨٢
صفة الحياة............................ ٨٤
العلم ٨٧
الإرادة............................ ٨٨
القدرة ٨٩

الاختيار ٨٩
الوحدة ٩٠
التوحيد في مدرسة أهل بيت عليهم السلام النبوة ٩١
المدخل إلى علم التوحيد ٩٦
العدل ٩٨
الجبر والاختيار ١١٠
كفر صاحب الكبيرة ١١٩
قضية الذات والصفات ١٢٥
أرنا الله جهرة!! ١٣٢
هذيانات أهل الزيغ ١٣٩
المؤلفات الفكرية: ١٤٦
الفهرس ١٤٩